وقال زيد بن على رضي الله تعالى عنهما : كان شعاره : يا منصور أمت [١] .

وعن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النَّبيّ ﷺ يقول : « إن لقيكم العدو فإن شعاركم : حم لا ينصرون »[٢] .

وكان رسول الله ﷺ إذا لم يخرج للغزو ، بعث السرايا ؛ وكان عذره ﷺ في عدم الخروج ما روى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « لولا أن أشق على المسلمين ، ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فيتبعوني ، ولا تطيب أنفسهم فيخلفون بعدى ، والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »[٣] .

شجاعته ﷺ :

عن على رضي الله تعالى عنه ، قال : كنا إذا احمر البأس ولقى القومُ القومَ ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه [٤] .

وعن سعد بن عياض الثُمالي[٥] ، قال : كان رسول الله ﷺ قليل الكلام ،

= الشيخين ووافقه الذهبي ، ورواه أبو الشيخ في أخلاق النَّبيّ [ص : ١٥٥] . وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٢٢٦١] .

(١) رواه أبو الشيخ في أخلاق النَّبيّ ﷺ [ص : ١٦٥] .

(٢) رواه أبو داود [٢٥٩٧] ، والترمذي [١٦٨٢] ، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٠٧] ، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٢٢٦٢] .

(٣) أخرجه البخارى [٣٦، ٣١٢٣، ٧٤٥٧، ٧٤٦٣] بلفظ : « انتدب الله لمن خرج في سبيله - لا يخرجه إلا إيمان بي ، وتصديق برسلي - أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة . ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل » ، والنسائي في المجتبى [٥٠٢٩، ٥٠٣٠] ، وابن ماجه [٢٧٥٣] .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٧/ ٥٧٨] وأبو الشيخ في أخلاق النَّبيّ ﷺ [ص : ٥٨] .

(٥) بضم المثلثة وتخفيف الميم ، وسعد هذا تابعي ثقة .

قليل الحديث ، فلما أُمر بالقتال ، تشمر ، وكان من أشد الناس بأساً [١] .

وعن البراء ، رضي اللّه تعالى عنه قال : كنا واللّه إذا احمر البأس نتقى به ، يعني النَّبيّ ﷺ ، وإن الشجاع منا الَّذي يحاذي به [٢] .

وعن عمران بن الحصين رضي اللّه تعالى عنه ، قال : ما لقى النَّبيّ ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب [٣]

وعن أنس بن مالك رضي اللّه تعالى عنه ، قال : كان رسول اللّه ﷺ من أشجع الناس ، وأسمح الناس [٤] .

وعن البراء رضي اللّه تعالى عنه ، قال : رأيت رسول اللّه ﷺ يوم الخندق ، ينقل التراب حتّى وارى الغبار شعر صدره ، ورأيت النَّبيّ ﷺ يرتجز يوم الخندق وهم يحفرونه ، وهو ينقل التراب حتّى وارى جلدة بطنه [٥] .

وعن جابر رضي اللّه تعالى عنه ، قال : مكث رسول اللّه ﷺ وأصحابه يحفرون الخندق ثلاثاً ، ما ذاقوا طعاماً فقالوا : يا رسول اللّه ، إن هذه كدية من الجبل ، فقال رسول اللّه ﷺ : « رشوها بالماء » ، فرشوها ، ثم جاء النَّبيّ ﷺ ، فأخذ المعول أو المسحاة ، ثم قال : « بسم اللّه » ثم ضرب ثلاثاً ، فصار كثيباً يهال ، قال جابر : فحانت مني التفاتة فرأيت رسول اللّه ﷺ وقد شد بطنه بحجر [٦] .

وعن البراء رضي اللّه تعالى عنه ، قال : لما غشيه المشركون ، نزل فجعل يقول : « أنا النَّبيّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، فما رؤى في الناس يومئذ أحد كان أشد من النَّبيّ ﷺ [٧] .

---

(١) رواه أبو الشيخ في أخلاق النَّبيّ ﷺ [ص : ٥٨] .
(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٧/ ٥٧٨] ، وأبو الشيخ في أخلاق النَّبيّ ﷺ [ص: ٥٨]
(٣) رواه أبو الشيخ في أخلاق النَّبيّ ﷺ [ص : ٥٨] .
(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٧/ ٥٧٨] ، وأبو الشيخ في أخلاق النَّبيّ ﷺ [ص: ٥٩] .
(٥) أخرجه البخاري [٢٨٣٧، ٤١٠٦] ، ومسلم [١٨٠٣/ ١٢٥] .
(٦) رواه أحمد في المسند [٣/ ٣٠٠] واللفظ له ، وأخرجه البخاري [٤١٠١] بنحوه .
(٧) أخرجه البخاري [٣٠٤٢] .

وصاياه ﷺ لأمراء السرايا والجيوش :

عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته ، بتقوى الله عز وجل ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال :

« اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا واحداً .

فإذا لقيت عدوك من المشركين : فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم .

○ ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك ، فاقبل منهم وكف عنهم .

○ وادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين .

فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة أو الفيء شيء ؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين .

○ فإن هم أبوا ، فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك ، فاقبل منهم ، وكف عنهم . فإن هم أبوا ، فاستعن بالله عز وجل ، وقاتلهم .

وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم أن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله عز وجل وذمة رسوله .

وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري ، أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ »[1] .

---

(١) أخرج مسلم [٢/١٧٣١] ، وأحمد في المسند [٥/٣٥٨] .

وكان ﷺ ينكر على من خالف ذلك ، فقد روى سالم عن أبيه قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا . فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا . فجعل خالد يقتل ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتّى إذا كان يوم ، أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره .

فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتّى قدمنا على رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له .

فرفع ﷺ يده وقال : « اللّهُمَّ إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد »[1] مرتين .

وفي هذا الكتاب تتبعنا كل ما قاله الشيخ الإمام عن الغزوات والسرايا في كتبه وأحاديثه المنشورة والمسموعة والمرئية ، ثم ما يسر الله تعالى من تسجيل مباشر مع فضيلته ، وتم إعداد ذلك كله وترتيبه على وفق ما صنع أئمة هذا الفن من التأليف ، ثم قمنا بالتعليق عليه وشرحه . ولما كان الشيخ الإمام لم يخص الغزوات بحديث مستقل ، كان لزاماً علينا أن نجتهد في استكمال الموضوع بالنقل من الروايات الصحيحة في كتب المغازي والسير ، فكان هذا الكتاب بحمد الله تعالى جامعاً لكل ما يهم المسلم معرفته من أمر غزوات الرسول ﷺ وجعلنا ما استنبطنا من خواطر الإمام أو سمعناه منه بعد إعادة كتابتها وصياغتها لتتوائم مع موضوع الكتاب في أعلى الصفحات ، ثم بقية الآراء الأخرى سواء الّتي استكملنا بها الموضوع أو الشارحة والموضحة له أسفل كلام الشيخ وفصلنا بينهما بخط لتمييز كل كلام على حده مع عزو كل نقل إلى مصدره ليتمكن القارئ والباحث من الرجوع إليه إذا شاء المزيد .

ولا أُريد أن أُطيل أكثر من ذلك ، ولكنّي أذكر بأن موضوع هذا الكتاب في غاية الأهمية ، وعلى كل مؤمن بالله تعالى أن يعلّم أبناءه مغازي رسول الله ﷺ ، كما كان يفعل سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم .

---

(١) أخرجه البخاري [٤٣٣٩، ٧١٨٩] ، وأحمد في المسند [٢/ ١٥٠، ١٥١] ، والنسائي في المجتبى [٨/ ٢٣٦-٢٣٧] .

فقد ورد أنهم كانوا يعلمونه أبناءهم ويقولون لهم : هذه شرف آبائكم فلا تضيعوها بل كانوا رضي اللّه تعالى عنهم يعلمونهم المغازي كما يعلمونهم السورة من القرآن .

واللّه تعالى أسأل أن يبارك لنا في عمر شيخنا وأن ينفعنا بعلمه ، ويجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

٢٩ محرم ١٤١٩ هـ
٢٥ مايو ١٩٩٨ م

خادم العلم الشريف
عبد اللّه حجاج

غزوة ودّان

أول الغزوات الّتي غزاها النّبيّ ﷺ ، غزوة الأبواء [١] ، وتسمى غزوة ودّان[٢] أيضاً ، وهما موقعان متجاوران بينهما ستة أميال أو ثمانية ، والأبواء بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وبالمد قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ولم يقع قتال في هذه الغزوة .

وكانت هذه الغزوة في صَفَر سنة اثنتين من الهجرة ، وكان عدد المسلمين مائتين بين راكب وراجل[٣] .

وحمل لواءها حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ، وكان أبيض ؛ واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه ؛ وخرج في المهاجرين ليس بينهم أنصارى حتّى بلغ الأبواء يعترض عِيراً لقريش فغاب خمسة عشر يوماً ولم يلق كيداً[٤] .

وفي هذه الغزوة واد محشي بن عمرو الضمرى ؛ على أن لا يغزو بني حمزة ، ولا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جميعاً ولا يعينوا ، وكتب بينه وبينهم كتاباً .

---

(١) قيل : سميت بذلك لما كان فيها من الوباء ، وهي على القلب ، وإلا لقيل : الأوباء .
فتح الباري [٨/ ٣] .

(٢) ودّان : بفتح الواو وتشديد المهملة ، قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع وهي قريبة من الأبواء بينها وبين رابغ مما يلي المدينة تسعة وعشرون ميلاً .
معجم البلدان [٥/ ٤٢٠] .

(٣) السيرة النبوية الصحيحة [١/ ٣٤٥] .

(٤) السيرة النبوية للدمياطي [ص: ١٨٥] ، والإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ لمُغلطاي [ص: ١٩٠] .

غزوة بُواط

وكانت غزوة رسول الله ﷺ بواط[١] في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من مهاجره ، وخرج في مائتين من أصحابه ، وكان مقصده أن يعترض عيراً لقريش كان فيها أمية ابن خلف في مائة رجل وألفين وخمسمائة بعير . فلم يلق النَّبيّ ﷺ كيداً فرجع إلى المدينة[٢] .

وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ، وكان أبيض واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه[٣] .

(١) بواط بالضم ، وآخره طاء مهملة هو جبل من جبال جهينة ، بناحية رضوى ، بقرب ينبع . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع [١/ ٢٢٨] .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة [١/ ٣٤٦] .

(٣) السيرة النبوية للحافظ الدمياطي [ص : ١٨٥، ١٨٦] .

غزوة بدر الأولى (١)

سببها : أن كرز بن جابر الفهرى ، قد أغار على سرح المدينة (٢) ، ونهب بعض الإبل والمواشي ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه ، حتّى بلغ وادياً يقال له : سفوان من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر ، فلم يدركه ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة (٣) .
وكانت في ربيع الأول(٤) .

(١) هكذا سماها أبو عمر في الدرر [٩٨] ، وابن حزم في جوامع السيرة [١٠٣] .
وسماها ابن سعد في الطبقات [٢/ ٩] : غزوة طلب كُرْز بن جابر الفهري .
وسماها البلاذري [١/ ٢٨٧] : غزوة سَفَوان ، وفي السيرة [٢/ ٢٥٥] : غزوة سَفَوان وهي : بدر الأولى ؛ وسَفَوان - بفتح السين والفاء - وادٍ من أودية بدر .
(٢) السرح : مارعوا من نعمهم . الطبقات الكبرى [٢/ ٩] .
(٣) السيرة النبوية الصحيحة [١/ ٣٤٦] .
(٤) هذا قول ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢/ ٩] ، وعند ابن إسحاق أنها في جمادى الآخرة ؛ نقلها عنه خليفة [٥٧] .

غزوة العشيرة

وفيها غزا ﷺ قريشاً ، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة[١] ، فأقام بها جمادى الأولى وليال من جمادى الآخرة ، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وذلك أن العير الّتي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام .

والجدير بالذكر أن هذه العير هي العير الّتي خرج لها أيضاً يريدها حين رجعت من الشام ، فساحلت على البحر وبلغ قريشاً خبرها فخرجوا يمنعونها فلقوا رسول ﷺ ووقعت غزوة بدر الكبرى[٢] .

وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وكان أبيض ، وخرج في خمسين ومائة - ويقال في مئتين - من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعقبونها ، وفيها كنى رسول الله ﷺ علياً أبا تراب[٣] .

(١) العشيرة : موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع [٢/ ٩٤٣] .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة [١/ ٣٥٤] .

(٣) السيرة النبوية للحافظ الدمياطي [ص : ١٨٦، ١٨٧] .

غزوة بدر الكبرى[١]

خرج رسول الله ﷺ إلى بدر هو والمؤمنون للاستيلاء على قافلة لقريش كانت مع أبي سفيان ، وهو في قلة من العدد ، فلما بلغ أبا سفيان خبر خروج النَّبيّ ﷺ ، بعث إلى مكة ضمضم بن عمرو يستنفر قريشاً لأجل أموالهم ، ونجا أبو سفيان بالعير ثم بعث إلى قريش إن الله نجي أموالكم فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتَّى نرد بدراً ، فنقيم هناك ثلاثاً ، وننحر الجُزر ، ونطعم الطعام ونشرب الخمور ، وتضرب علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلايزالون يهابوننا أبداً .

وهكذا وجد الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين أنفسهم مدفوعين إلى حرب لم يستعدوا لها مع كفار قريش فاستشار ﷺ أصحابه . فقال أبو بكر فأحسن . وقال عمر فأحسن . وقال المقداد : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك . والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون . والذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى بَرْك الغماد[٢] ، لجالدنا مَنْ دونه .

فقال له رسول الله ﷺ خيراً .

ثم قال : أشيروا عَلَيَّ . - وإنما يريد الأنصار - .

---

(١) وتسمى العظمى ، وتسمى الثانية ، وتسمى بدر القتال . وهي بئر سميت ببدر بن الحارث حافرها ، وقيل : بدر بن كلدة ، وقيل : لاستدارتها ، وقيل لصفائها ورؤية البدر فيها .
الإشارة إلى سيرة المصطفى [ص : ١٩٧] .
وخرج معه المهاجرون والأنصار في هذه الغزوة ، ولم يكن غزا بأحد من الأنصار قبل ذلك .
السيرة النبوية للحافظ الدمياطي [ص : ١٨٧] .

(٢) برك الغماد : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن ، وقيل : هي أقاصي هجر ، أو أقصي اليمن .

فقال سعد بن معاذ : امض لما أردت ، فوالَّذي بعثك بالحق ، لو استعرضْتَ بنا هذا البحر فَخُضته ، لَخُضناه معك ، إنا لصُبُر عند الحرب ، فسر بنا على بركة اللَّه .

فقال : سيروا على بركة اللَّه وأبشروا ، فإن اللَّه قد وعدني إحدى الطائفتين واللَّه لكأني أنظر إلى مصارع القوم .

ثم سار حتَّى نزل قريباً من بدر ؛ فلما رأى ﷺ قريشاً استقبل القبلة ومدَّ يديه وقال : « اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة ، لا تعبد في الأرض »[١] .

فما زال يستغيث حتَّى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فردَّه ، ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبي اللَّه كفاك مناشدتك[٢] ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال : ٥] ؛ ذلك أنه حين أفلتت قافلة قريش ووجد المؤمنون أنفسهم يواجهون حرباً لم يستعدوا لها ، كره بعضهم ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ لَكَٰرِهُونَ﴾ ليست طعناً في المؤمنين ؛ لأنهم خرجوا ولا خيل معهم إلا ثلاثة ، فكأن حيثية الكراهية ليست تأبياً على أوامر اللَّه . ولكن لأننا إذا أخذناها بالأسباب . . نرى أن المقاييس البشرية للحرب مختلة بين المؤمنين والكفار ، فالكفار مستعدون استعداداً جيداً للحرب ، معهم السلاح والفرسان ، وهم يزيد عددهم على تسعمائة . . بينما المؤمنون يتجاوزون الثلاثمائة بقليل[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم [١٧٦٣] من حديث عمر رضي اللَّه تعالى عنه قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول اللَّه ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، ثم مدّ يديه ، فجعل يهتف بربه : « اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني ، اللَّهُمَّ آت ما وعدتني ، اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتَّى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال يا نبي اللَّه كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك .

(٢) مناشدتك . أي إلحاحك عليه ومطالبتك له .

(٣) قال ابن إسحاق : إن رسول اللَّه ، ﷺ ، سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو=

ولكن اللّه سبحانه وتعالى يريد أن يُعلمَ المؤمنين أن النصر ليس بالعدد

= أربعون . لما سمع رسول اللّه ، ﷺ، بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم ، وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل اللّه يغنمكموها » ، فانتدب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول اللّه ﷺ، يلقى حرباً . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان ؛ تخوفاً على أمر الناس ، حتّى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت له : يا أخي واللّه لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفزعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم مني ما أحدثك به .

قال لها : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتّى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتّى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت[1] : فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة[2] .

قال العباس : واللّه إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة ، بن ربيعة ، وكان له صديقاً فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة .

ففشا الحديث بمكة ، حتّى تحدثت به قريش في أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتّى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ =

(١) ارفضّت : أي تبددت وتفتتت .

(٢) الفلقة : القطعة ، والفلقة من الجفنة : أحد نصفيها إذا انفلقت .

ولا بالعُدة ، وإنما هو من عند اللّه سبحانه ، فأراد اللّه تعالى أن ينصر هذه القلة من المؤمنين على كفار مكة بعددهم الضخم وعدتهم الكثيرة القوية وكل

= قال : فقلت : وما ذاك ؟

قال : تلك الرؤيا الّتي رأت عاتكة .

قال : قلت : وما رأت ؟

قال : يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتّى تتنبأ نساؤكم!! لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث فستتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فواللّه ما كان منى إليه من كبير ، إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً .

قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ، قال : قلت : قد واللّه ، فعلت ما كان منى إليه من كبير ، وايم اللّه لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفينكِه .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، قال : فدخلت المسجد ، فرأيته ، فواللّه إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر ، قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال : فقلت في نفسي : ما له لعنه اللّه ؟!! أكل هذا فرق منى أن أشاتمه ؟ قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع[1] بعيره وحول رحله ، وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة [2] أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ كلا واللّه ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، وأرعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لأط [3] له بأربعة آلاف درهم كانت له =

(١) جدع بعيره : أي : قطع أنفه ، أو طرفاً من أطرافه .

(٢) اللطيمة : العير الّتي تحمل المسك والثياب وغيرهما للتجارة .

(٣) لأط : يقال : لأطه لأطا : أي : اقتضاه ديناً وألح عليه .

ما استعدوا به ، فكأن اللّه يريد أن يؤكد هنا حقاً يجب أن يلتفت إليه المؤمنون جيداً ، وهو أن النصر من عند اللّه .

والرسول ﷺ خرج في قضية حق ، وطالباً لحق ، ولكن فريقاً من

= عليه أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعثه فخرج عنه وتخلف أبو لهب .
السيرة لابن هشام : [٢ / ٢٦١-٢٦٥] .

قال في الإمتاع : فلما نزلوا بمر الظهران نحر أبو جهل جزوراً ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها ، ورأى ضمضم بن عمرو أن وادي مكة يسيل دماً من أسفله وأعلاه ، وكان مع المشركين مائتا فرس يقودونها وستمائة درع ، ومعهم القيان يضربن بالدفوف ، ونحر لهم أول يوم خرجوا من مكة أبو جهل عشر جزائر ، ثم نحر لهم أمية ابن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشرا - وأسلم بعد ذلك - ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر ، فظلوا فيها وأقاموا بها ، فنحر لهم يومئذ عتبة ابن ربيعة عشراً ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم منبه ونبيه ابنا الحجاج عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم ، فلما وصلوا إلى الجحفة عشاءًا نزلوا هناك .

الإمتاع [١/ ٦٧، ٦٨] .

وقال ابن سعد : لما تحين رسول اللّه ﷺ انصراف العير من الشام الّتي كان خرج لها يريدها حتّى بلغ ذا العشيرة ، بعث طلحة بن عبيد اللّه الّتيمى ، وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل يتحسسان خبر العير ، فلما بلغا التجبار من أرض الحوراء نزلا على كشد الجهني ، فأجارهما وأنزلهما وكتم عليهما حتّى مرت العير ، ثم خرجا وخرج معهما كشد خفيراً حتّى أوردهما ذا المروة ، وساحلت العير وأسرعت ، فساروا بالليل والنهار فَرقاً - أي خوفاً من الطلب - فقدم طلحة وسعيد المدينة ليخبرا رسول اللّه ﷺ خبر العير ، فوجداه قد خرج . وكان قد ندب المسلمين للخروج معه ، وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم لعل اللّه أن يغنمكموها » فأسرع من أسرع إلى ذلك ، وأبطأ عنه بشر كثير .

وكان من تخلف لم يُلَم لأنهم لم يخرجوا على قتال ، إنما خرجوا للعير . وكانت الإبل سبعين بعيراً يتعاقب النفر البعير .

وكانت الخيل فرسين : فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوى .

وكان عدة أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، كان المهاجرون منهم ستة وسبعين .

فدعا لهم رسول اللّه ﷺ حين خرجوا ، فقال :

« اللّهُمّ إنهم حفاة فاحملهم ، اللّهُمّ إنهم عراة فاكسهم ، اللّهُمّ إنهم جياع فأشبعهم » ففتح اللّه يوم بدر ، فانقلبوا - حين انقلبوا - وما فيهم رجل إلا قد رجع بحمل أو حملين ، واكتسوا وشبعوا . وكانت بدر لسبع عشرة من رمضان يوم الجمعة .

الطبقات الكبرى لابن سعد : [٢ / ١١- ٢٠] بتصرف .

المؤمنين الَّذين كانوا معه كرهوا أن تُنقل العملية من مجرد استيلاء على قافلة عوضاً عما أخذته قريشاً منهم إلى قتال لم يستعدوا له .

والفرقة هي : الجماعة ، والجيش عادة يتكون من عدة فرق ، والَّذين قال عنهم اللَّه تعالى إنهم كارهون لم يخرجهم من صفة الإيمان .

فالحق تعالى يقول : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ثم يفهمنا القضية فيقول : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .

أي : أن القتال ولو أنكم تكرهونه إلا أن فيه خيراً لكم ، فلو لم تقاتلوا لاستهان بكم الناس واستعبدوكم وأخذوا كل ما تملكون .

أيكون القتال في هذه الحالة هو الخير ، أم عدم القتال والاستسلام للناس هو الخير؟ بالطبع القتال هو الخير .

ولما خطب النَّبيّ ﷺ الناس ، وشاورهم ، وكأنه ﷺ يستطلع رأى الأنصار فقام سعد بن معاذ رضي اللَّه تعالى عنه فقال : يا رسول اللَّه إنك خرجت لأمر ، وأحدث اللَّه غيره ، فانظر الَّذي أحدث اللَّه إليك فامض له[1] .

فنزل قول الحق تعالى : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنفال : ٥]

---

(١) روى ابن مردويه عن علقمة بن أبي وقاص قال : خرج رسول اللَّه ﷺ إلى بدر ، حتَّى إذا كان بالروحاء ، خطب الناس ، فقال : « كيف ترون ؟ » . فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا ، قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » . فقال عمر مثل قول أبي بكر ، ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » . فقال سعد بن معاذ : يا رسول اللَّه إيانا تريد ؟ فوالَّذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتَّى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالَّذين قالوا لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر ، وأحدث اللَّه إليك غيره ، فانظر الَّذي أحدث اللَّه إليك فامض له ، فصلْ حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن على قول سعد : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ الآيات .

تفسير ابن كثير [٢/ ٢٧٥، ٢٧٦] .

والبيت هنا مقصود به المدينة المنورة [١] لأنها هي بيت رسول الله ﷺ والمؤمنين وذلك بعد أن هاجروا إليه واستقر بهم المقام فيها .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال : ٦] .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ ﴾ أي : يجادلونك في القتال بدعوى أن القوتين غير متكافئتين .

وقوله تعالى : ﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد رسوله ﷺ إما القافلة وإما النصر في المعركة [٢] .

وكان فريق من المؤمنين يريدون الغنيمة السهلة ، بأن يستولوا على القافلة ويأخذوا أموالها ، وبذلك يكونون قد استردوا جزءا من أموالهم الَّتي استولت عليها قريش حينما هاجروا إلى المدينة فراراً بدينهم . ولكنهم لم يتنبهوا إلى أنه ما دام الله قد اختار لهم القتال ، فهو أنفع لهم في دينهم وأنفسهم من القافلة وما فيها ؛ لأن الاستيلاء على القافلة لا يعطى لقضية الحق شيئاً اللهم إلا غنائم دنيوية ينتفع بها فريق من الناس ، لوقتٍ ثم تنتهي . ولكن الانتصار في المعركة يعطى المسلمين القوة والهيبة ، ويُعلى شأنهم في الجزيرة العربية كلها ، ويلقن كفار قريش درساً بأن هؤلاء المسلمين الضعفاء قليلى العدد ، هم بدينهم وإيمانهم أقوى من الدنيا كلها . ولذلك كان قَدَرُ الله سبحانه وتعالى هو القتال وليست القافلة .

ولكن فريقاً من المؤمنين لم يتنبه إلى قدر الله في اختياره ، وهم الَّذين وصف الله تعالى حالهم في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ والسوق لا يكون من الأمام ، ولكن القيادة هي الَّتي تكون من

---

(١) قال الطبري : أما قوله : ﴿ مِنۢ بَيْتِكَ ﴾ فإن بعضهم قال : معناه : من المدينة .
وروى بسنده عن ابن أبي نجيح : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ ﴾ المدينة إلى بدر .
تفسير الطبري [٩/ ١٨٢] .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧] .

الأمام ؛ لتدل الناس على الطريق . أما السوق فيكون من خلف تماماً كما يسوق الراعي الغنم ؛ فهو يمشي خلفها ، حتَّى يتأكد أنه لاتشرد واحدة من الغنم ، ولا يكون السوق بغاية من يساق ، فلا يتبع الراعي الغنم حيثما تريد ، وإنما يتبعها إلى طريق مرسوم .

وقول اللَّه تعالى : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ ﴾ معناه : أنهم ليسوا ذاهبين باختيارهم ، وإنما مدفوعون دفعاً ، فكأن بشاعة صورة الموت في لقائهم مع ما يقرب من ألف مقاتل من قريش مسلحين تسليحاً جيداً وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أي : أن كل واحد منهم سيقاتل ثلاثة من الكفار مجهزين تجهيزاً كاملاً للقتال . هذه الصورة جعلتهم يعتقدون أنهم بلا شك في هذا القتال سيقابلون الموت ولن ينجو منهم أحد[1] .

ولذلك لم يكن ذهابهم للقتال ذهاب إنسان واثق من النصر ، ولكن ذهاب إنسان واثق من الموت ، ولم يتنبهوا إلى قدرة اللَّه سبحانه الَّذي يستطيع أن ينصرهم حتَّى ولو أنهم قلة في العدد والعدة .

الحق سبحانه وتعالى حينئذ يُذكرهم بوعده لهم بالانتصار فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[2] [الأنفال : ٧] أي : أنه بالرغم من أن اللَّه وعدكم بالنصر ،

---

(١) قال البيضاوي في قوله تعالى : ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ ﴾ في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقى العين عليه . ﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا بإعلام الرسول عليه الصلاة والسلام . ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ أي يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه ، وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم ؛ إذ روى أنهم كانوا رجَّالة وما كان فيهم إلا فرسان ، وفيه إيماء إلى أن مجادلتهم ؛ إنما كانت لفرط فزعهم ورعبهم .

تفسير البيضاوي [١/ ٣٧٦] .

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ ، يعني العير والنفير ، وقال قتادة : الطائفتان إحداهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفير قريش وقوله : ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ أي : تودون أن الطائفة الَّتي ليس فيها حرب ولا سلاح وهي العير تكون لكم والمراد بالشوكة السلاح .

الوسيط في تفسير القرآن المجيد [٢/ ٤٤٥] .

إلا أنكم تريدون نصراً مريحاً ليس فيه شوكة ، والشوكة هي الشيء المدبب الطرف ينفذ بسهولة في غيره ؛ لأنها تكون سميكة من أحد طرفيها رفيعة من الطرف الآخر ؛ حتّى تكون قاعدتها غليظة تستوعب قوة الضربة ، ومقدمتها دقيقة تنفذ في الجسد بسهولة ، وتكون حادة تماماً مثل رأس الحربة [١] .

اللّه سبحانه وتعالى وعدهم بالنصر ، وما دام الوعد من اللّه ، فهو لابد واقع لا محالة ؛ لأن وعد إنسان لإنسان قد لا يتحقق ، فالإنسان يعيش عالم أغيار ، قد يموت قبل تنفيذ وعده ، وقد يضعف فلا يملك القدرة على التنفيذ ، وقد يأتي من هو أقوى منه ويمنعه ، وقد يغير الإنسان رأيه عندما يحين تنفيذ الوعد فيحنث بوعده .

ولكن إذا وعد اللّه سبحانه وتعالى فوعده الحق ، لأنه رب كل شيء ومليكه ، القادر القاهر فوق عباده لا يُعْجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء .

إذن . . المؤمنون يريدون غير ذات الشوكة ، أي القافلة الّتي يستولون عليها بسهولة ، وبدون مشقة ، ولا تعرض في ذلك لقتل ؛ لأن حراس القافلة قليل ، قيل أنهم أربعون فارساً ، بينما المؤمنون ثلاثمائة ويزيد .

ولكن اللّه سبحانه وتعالى أراد أمراً آخر ، أراد سبحانه : ﴿ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ وذلك بأن يعلم الجميع أن النصر من عند اللّه تعالى ، وأن اللّه الّذي اصطفى محمداً وأرسله للناس ، لا يمكن أن يتخلى عنه حتّى ولو كان في جيش ضعيف قوامه ما يزيد عن الثلاثمائة بقليلٍ في مقابل جيش قوى يقارب عدده الألف جندى .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الدبر : هو الخلف ، ويقطع

---

(١) الشّوكة : السلاح ، وقيل : حدة السلاح . والشوكة : شدة البأس والحدّة في السلاح . وقد شاك الرجل يَشَاكُ شَوْكاً : أي ظهرت شوكته وحدّته ، فهو شائك السلاح . وشوكة القتال : شدة بأسه .

وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ قيل معناه حدّة السلاح ، وقيل : شدة الكفاح . وفلان ذو شوكة أي : ذو نكاية في العدو .

لسان العرب [١٠/ ٤٥٤] .

دابرهم ، أي : يجعلهم يشعرون بالهوان والذلة ؛ لأنك في أي قتال أو حرب لا تشعر بالأمان إلا إذا كان وراءك من يؤمّنونك ، فإذا ذهب هؤلاء وانكشف ظهرك عرفت أن الهزيمة بلا شك قادمة ، فترتبك وتفر من القتال .

واللّه يريد بهذا أن يُعْلِمَ الكافرين أن ظهرهم مكشوف ، وأنهم لا يستندون إلى شيء ، وإنما ظهورهم مكشوفة ؛ كما أن اللّه سبحانه وتعالى يُرِى هؤلاء الكافرين أن كثرتهم وقوتهم مع اعتمادهم على الباطل لا يعطيهم نصراً ، بل يستأصلهم من جذورهم ، فلا تقوم لهم قائمة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال : ٨] : لأن المجرمين يكرهون إحقاق الحق وإظهاره ولا أن تكون له دولة ؛ لأنهم يريدون أن تدوم دولة الباطل ؛ لأنها هي سلطانهم وهي قوتهم ، فإن زالت زالوا [١] .

---

(١) قال القرطبي في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي أن يظهر الإسلام . والحق حق أبداً ، ولكن إظهاره تحقيق له من حيث إنه إذا لم يظهر أشبه الباطل . ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي بوعده ؛ فإنه وعد نبيه ذلك في سورة « الدخان » فقال : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦] أي من أبي جهل وأصحابه . وقال : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي بأمره ؛ إياكم أن تجاهدوهم . ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي يستأصلهم بالهلاك . ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ أي يظهر دين الإسلام ويعزه . ﴿ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ أي الكفر . وإبطاله إعدامه ؛ كما أن إحقاق الحق إظهاره ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : ١٨] . ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ .

تفسير القرطبي [٧/ ٣٦٩، ٣٧٠] .

طلب المدد من اللَّه

يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٩] الاستغاثة هي : طلب الغوث ، ولا يُطلب الغوث إلا من قادر عليه ، وأصلها : من الغيث وهو المطر . فعندما تجدب الأرض يتجه الناس إلى طلب الغوث ؛ لأنهم يحسون أن حياتهم مهددة ، فالماء هو أصل الحياة ، وطلبهم الغيث هو طلب لإبقاء حياتهم .

والمؤمنون في حرب . وهي حرب قد يفنون فيها ؛ لأنهم يواجهون عدواً أقوى منهم في العدد والعدة ؛ لذلك هم يستغيثون باللَّه ، والَّذي استغاث هو رسول اللَّه ﷺ ؛ فقد رفع يديه إلى السماء وقال : « اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني »[1] .

ولكن اللَّه يقول : ﴿ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ والمستغيث واحد هو رسول اللَّه .

نقول : إن الناس غفلوا عن أن هناك داعياً واحداً ومعه مُؤَمنون ، الداعي هو الَّذي يدعو ، والَّذين معه يقولون : آمين .

---

(١) عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول اللَّه ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً . فاستقبل نبي اللَّه ﷺ القبلة ، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه : « اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني . اللَّهُمَّ آت ما وعدتني . اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » . فما زال يهتف بربه ، مادّاً يديه ، مستقبل القبلة ، حتَّى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه . وقال : يا نبي اللَّه ! كذاك مناشدتك أي كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك[1] .
فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٧٦٣] واللفظ له ، وأبو داود [٢٦٩٠] ، والترمذي [٣٠٨١] .

وهذا واضح في قول الحق : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨] من الذي دعا ؟ الذي دعا هو : موسى عليه السلام بنص القرآن . . ولكن لاحظ ماذا قال الله سبحانه وتعالى بعد ذلك ، قال جل جلاله : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس : ٨٩] وهذا دليل على أن موسى دعا وهارون قال : آمين .

إذن . . فالمؤمّن أحد الداعين .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] أي أنه عندما حدثت الاستغاثة استجاب لها الله ، وأمر ملائكته بأن يقاتلوا مع المؤمنين(١) .

---

(١) جاءت هذه الآية الكريمة تذكيراً للمؤمنين بأنه تعالى لم يتخل عنهم حين لجأوا إليه واستغاثوا به ، وقتما رأوا قلتهم وضعف استعدادهم أمام جيش المشركين الكثير العدد ، القوى الاستعداد ؛ بل أمدهم بالملائكة من عنده .

وقد أسندت الاستغاثة في الآية إلى المؤمنين ، مع أن سبب النزول الذي تقدم ذكره يحكي أنها كانت من النبي ﷺ لأنه ﷺ كان يعبر باستغاثته عما في نفوس المؤمنين ، وجرت به ألسنتهم من لجوئهم إلى الله تعالى لينصرهم .

التفسير الوسيط [٢/ ٤٤٥] .

ويقول ابن القيم في قوله تعالى : ﴿ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ قال : قرئ بكسر الدال وفتحها ، فقيل المعنى : أنهم ردف لكم ، وقيل : يردف بعضهم بعضا أرسالا ، لم يأتوا دفعة واحدة .

فإن قيل : ها هنا ذكر أنه أمدهم بألف ، وفي سورة « آل عمران » قال : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ فكيف الجمع بينهما ؟ قيل : قد اختلف في هذا الإمداد الذي بثلاثة آلاف ، والذي بالخمسة على قولين :

أحدهما : أنه كان يوم أحد ، وكان إمداداً معلقاً على شرط ، فلما فات شرطه ، فات الإمداد ، وهذا قول الضحاك ومقاتل ، وإحدى الروايتين عن عكرمة .

والثاني : أنه كان يوم بدر ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . والرواية الأخرى عن عكرمة ، اختاره جماعة من المفسرين . وحجة هؤلاء أن السياق يدل على ذلك ، فإنه سبحانه قال : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن =

ولكن مَنْ هم الملائكة ؟ إنهم عالم من خلق غيبيّ عنّا ، يجب علينا الإيمان بهم الّذي أخبرنا بهم هو اللّه سبحانه وتعالى ، كما أخبرنا عن وجود الجن ونحن لا نراه .

بعض الناس يقول : كيف يكون هناك موجود ولا يُرى ؟ وبعض الناس أنكروا وجود الجن والملائكة وقالوا : إن الملائكة هم الأسباب الميكانيكية

= ﴿ يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ . . . ﴿١٢٥﴾ ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي : هذا الإمداد ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] قال هؤلاء : فلما استغاثوا ، أمدّهم بتمام ثلاثة آلاف ، ثم أمدّهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا ، فكان هذا التدريج ، ومتابعة الإمداد ، أحسن موقعاً ، وأقوى لنفوسهم ، وأسر لها من أن يأتي به مرة واحدة ، وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة .

زاد المعاد [٣/ ١٧٧، ١٧٨] .

وقد ثبت في القرآن والحديث أن اللّه تعالى أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر ، وأنها قاتلت معهم ، فأما القرآن ففيه : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] هذا إذا أرجعنا الضمير في «اضربوا» إلى الملائكة ، لكن الطبري أرجعه للمؤمنين ، وإن اللّه تعالى يعلمهم كيفية الضرب .

وأما الأحاديث :

فقد قال ابن عباس : «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم[1] فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم[2] أنفه وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر =

---

(١) اسم فرس الملك .

(٢) الخطم : الأثر على الأنف .

في الكون !! وهذا جهل منهم بدين اللّه تعالى ، وإنكار لمعلوم من الدين بالضرورة .

والحق سبحانه وتعالى حين يتكلم عن أمرٍ غيبي ، فمن رحمته بعباده أن يوجد في كونه من المشهودات ما يُقرب هذا الغيب إلى عقولنا ، فيجعلنا

= ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول اللّه ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك مدد من السماء الثالثة »[١] .

وقد أسر رجل من الأنصار العباس بن عبد المطلب ، فقال العباس : يا رسول اللّه : إن هذا واللّه ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجلح[٢] من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم . فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول اللّه ، فقال : « اسكت ، فقد أيدك اللّه تعالى بملك كريم »[٣] .

وفي مغازي الأموي بإسناد حسن «خفق النّبيّ ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر اللّه ، هذا جبريل معتجر بعمامة آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع أتاك نصر اللّه وعدته »[٤] .

وفي صحيح البخاري : «جاء جبريل إلى النّبيّ ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « أفضل المسلمين » - أو كلمة نحوها - قال : «وكذلك من شهد بدراً من الملائكة»[٥] .

فهذا ما صح من الآثار عن اشتراك الملائكة ببدر وقتالها فيها ، وأما عن حكمة ذلك مع أن جبريل وحده قادر على إهلاكهم بأمر اللّه ، فيوضح السبكي ذلك بقوله : « وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنّبيّ ﷺ وأصحابه ، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها اللّه تعالى في عباده . واللّه تعالى هو فاعل الجميع واللّه أعلم »[٦] .

السيرة النبوية الصحيحة [٢/ ٣٦٤-٣٦٦] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٨٦٣] .

(٢) الأجلح : الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه .

النهاية في غريب الحديث [١/ ٢٨٤] .

(٣) جزء من حديث رواه أحمد في المسند [١/ ١١٧] عن علي بن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه ، وصححه الشيخ شاكر برقم [٩٤٨] .

(٤) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية [٣/ ٢٨٤] . وفي صحيح البخاري [٤٩٩٥] عن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما أن النّبيّ ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » .

(٥) أخرجه البخاري [٣٩٩٢] .

(٦) ذكره ابن حجر في فتح الباري [٨/ ٤٦، ٤٧] .

نكتشف أشياء كانت غيباً عنا ، لم تخلق وقت اكتشافها ؛ لنعرف أن هناك فرقاً بين وجود الشيء وإدراك وجوده .

فإذا تحدثنا عن الميكروبات مثلاً الّتي لم يتم اكتشافها إلا في القرن السابع عشر . هل خلقت الميكروبات في هذا القرن ؟ أم كانت موجودة من قبل ؟ كانت موجودة ، وتخترق أجساد الناس وتدخل وتتكاثر وتسبب الأمراض ، كل هذا دون أن ندري عن وجودها شيئاً ، فلما شاء اللّه سبحانه وتعالى لها الظهور دل على مَنْ إكتشفها ، فعرفناها بعد أن كنا لا ندري عنها شيئاً .

إذن . . إذا جاء حديث من اللّه عن أن هناك خلقاً موجوداً وأنت لا تدركه ، فخذ مما أدركت وجوده دليلاً على تصديق أن هناك أشياء موجودة ، ولكنك لا تدرك وجودها [١] .

---

(١) قال الإمام سليمان بن موسى الكلاعي : وقاتلت الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس : ولم تقاتل في يوم سواه ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً أو مدداً لا يضربون ، وكان سيماهم يوم بدر عمائم بيضاء ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حُنَيْن عمائم حمراً .
وذكر ابن هشام عن علي رضي اللّه تعالى عنه في سيماهم يوم بدر مثل ما قال ابن عباس ، إلا جبريل ، فإن في حديث عليٍّ أنه كانت عليه عمامة صفراء .
وقال ابن عباس : حدثني رجل من غِفَارٍ قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتّى أصعدنا في جبل نشرف منه على بدر ، ونحن مشركان ، ننظر لمن تكون الدائرة فننْهبُ مع من ينهب : فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أَقْدِم حَيْزوم . فأما ابن عمي فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أُهلك ثم تماسكت .
وقال أبو أُسَيد الساعدي بعد أن ذهب بصره ، وكان شهد بدراً : لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الّذي خرجت منه الملائكة ، لا أشكُّ ولا أتمارى .
وقال أبو داود المازني : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري .
الاكتفاء في مغازي رسول اللّه ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٣٥] .

مصرع أبي جهل (*)

(*) فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبي جهل أن يُلتمس في القتلى ، وقال لهم : انظروا إن خُفِيَ عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف [١] منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش [٢] في إحداهما جحشاً لم يزل أثره به .

وكان من حديث عدو الله يوم بدر أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه [٣] الغداة . فكان هو المستفتح ، وأقبل يرتجز وهو يقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني [٤]

لمثل هذا ولدتني أمي

وكان أول من لقيه فيما ذكر مُعاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة ، قال : سمعت القوم وأبا جهل في مثل الحرجة [٥] يقولون : أبو الحكم لا يخلص [٦] إليه .

فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمدت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت [٧] قدمه بنصف ساقه ، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني [٨] القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتّى طرحتها . وعاش بعد ذلك معاذ هذا رحمه الله ، إلى زمان عثمان رضي الله عنه .

(١) أشف : أنحل .

(٢) الجحش : سحج الجلد وقشره من شيء يصيبه .

(٣) أحنه : أهلكه .

(٤) العوان : الشديدة . والبازل : الذي يخرج نابه من الإبل .

(٥) الحرجة : الشجر الملتف . وفي الحديث عن عمر بن الخطاب أنه سأل أعرابياً عن الحرجة فقال : هي شجرة لا يُوصل إليها .

(٦) ابن هشام : لا يخلص .

(٧) أطنت : أطارت .

(٨) أجهضني : غلبني .

.....

= ثم مر بأبي جهل ، وهو عقير ، معوذ بن عفراء فضربه حتّى أثبته فتركه وبه رمق ، وقاتل معوذ حتّى قتل .

فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ بالتماسه في القتلى . قال عبد الله : وقد كان ضبث [١] بي مرة بمكة فآذاني ولكزني ، فوجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له : أخزاك الله يا عدو الله! قال : وبماذا أخزاني ؟ أعمد [٢] من رجل قتلتموه ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قلت : لله ولرسوله .

ثم احتززت رأسه ، ثم جئت به رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال : الله الّذي لا إله غيره ؟ وكانت يمين رسول الله ﷺ ، قلت : نعم ، والله الّذي لا إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يديه ، فحمد الله .

وخرّج مسلم في صحيحه [٣] عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بينما أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، فتمنيت لو كنت بين أضلع [٤] منهما فغمزني أحدهما ، فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم وما حاجتك إليه يابن أخي ؟ قال : أخبرنا أنه يسب رسول الله ﷺ ، والّذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتّى يموت الأعجل منا .

قال : فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال مثلها .

قال : فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الّذي تسألان عنه . فابتدراه ، فضرباه بسيفيهما حتّى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلته . فقال هل مسحتما سيفيكما ؟

قالا : لا .

فنظر في السيفين ، فقال : كلاكما قتله . وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح . والرجلان : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله ﷺ وقف يوم بدر على القتلى ، فالتمس أبا جهل فلم يجده ، حتّى عرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ فقال : « اللهم لا يعجزنك فرعون هذه الأمة .

فسعي له الرجال حتّى وجده عبد الله بن مسعود مصروعاً ، بينه وبين المعركة غير كبير ، مقنعاً في الحديد واضعاً سيفه على فخذيه ، ليس به جرح ولا يستطيع أن يحرك منه =

(١) ضبث . قبض عليه ولزمه ، قال ضابئ بن الحارث البرجمي :

فأصبحت مما كان بيني وبينكم من الود مثل الضابث الماء باليد

(٢) أي ما هو إلا رجل قتله قومه . يريد أنه ليس عليه عار في ذلك .

(٣) أخرجه مسلم [١٧٥٢/ ٢٤] .

(٤) أضلع : أقوى .

= عضواً ، وهو مكب ينظر إلى الأرض ، فلما رآه ابن مسعود طاف حوله ليقتله وهو خائف أن ينوء[1] إليه ، فلما دنا منه وأبصره لا يتحرك ظن أنه أثبت جراحاً ، فلما أراد أن يضربه بسيفه ، خاف أن لا يغني شيئاً فأتاه من ورائه ، فتناول قائم سيف أبي جهل فاستله وهو مكب لا يتحرك ، ثم رفع سابغة البيضة عن قفاه ، فضربه فوقع رأسه بين يديه ، ثم سلبه ، فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح وأبصر في عنقه حدراً وفي يديه وكتفه مثل آثار السياط . وأتى ابن مسعود النبي ﷺ فأخبره بقتله ، والذي رأى به ، فقال النبي ﷺ ، زعموا : ذلك ضرب الملائكة .

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٦٣ - ٩٣] .

(١) ينوء : ينهض بجهد ومشقة .

إلقاء رءوس المشركين في القليب(*)

(*) روى عن طلحة أن نبي الله ﷺ أمر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش يوم بدر ، خبيث مخبث .

وكان إذا ظهر على قوم ، أقام بالعرصة ثلاثة أيام .

فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث ، أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه ، فقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الركي ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم :

يا فلان ابن فلان و ويا فلان ابن فلان ، أيسركم أنكم اطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟

فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد ، لا أرواح لها فيها .

فقال نبي الله ﷺ :

« والذي نفس محمدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخاً وتصغيراً ، ونقمةً وندماً[1] .

(١) أخرجه البخاري [٣٩٧٦] ، ومسلم [٧٨/٢٨٧٥] .

من شهد بدرا من المسلمين

(*) وكان جميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار ، من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً .

من المهاجرين : ثلاثة وثمانون رجلاً : ثلاثة منهم ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ولم يشهدوا ، وهم : عثمان بن عفان ، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ لمرضها الذي توفيت فيه قبل أن يرجع رسول الله ﷺ من بدر ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه . قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : « وأجرك » .

وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد[1] ، كانا بالشام فرجعا بعد رجوع رسول الله ﷺ من بدر ، فضرب لكليهما بسهمه ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : « وأجرك » .

ومن الأوس : واحد وستون ، اثنان منهم ضرب لهما بسهميهما : عاصم بن عدى العجلاني ، رده رسول الله ﷺ بعد أن خرج معه وضرب له بسهمه ، وخوات بن جبير ضرب له أيضاً بسهمه[2] .

ومن الخزرج : مائة وسبعون رجلاً ، منهم الحارث بن الصمة كُسر به بالروحاء فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه .

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٦٥] .

(١) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٢) زاد الواقدى : وأجره . ابن كثير [٢/ ٥٠٩] .

شهداء بدر (*)

.....

(*) واستشهد يوم بدر من المسلمين مع رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلاً :

ستة من قريش : عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وعمير بن أبي وقاص الزهرى ، وذو الشمالين بن عبد عمرو حليف لبني زهرة ، وعاقل بن البُكَيْر حليف لبني عدِي ، ومِهجع مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان ابن بيضاء .

ومن الأنصار ثمانية نفر : خمسة من الأوس : سعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف ، ويزيد بن الحارث الذي يقال له : ابن فُسْحُم من بني الحارث ابن الخزرج ، وعمير بن الحُمام من بني سلمة ، ورافع بن المعلّى من بني جشم .

وثلاثة من الخزرج من بني النجار : حارثة بن سراقة ، وعوف ومُعَوّذ ابنا الحارث ابن رفاعة منهم ، وهما ابنا عفراء ، رحمة الله تعالى على جميعهم ورضوانه .

وكان مع المسلمين يوم بدر من الخيل : فرس الزبير بن العوام ، وفرس مَرْثد بن أبي مرثد الغنوى ، وفرس المقداد بن عمرو البهواني (١) .

الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٦٦] .

(١) قال ابن القيم : ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن الأسود الكندى ، وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد ، فكان رسول الله ﷺ وعلى ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوى يعتقبون بعيراً .

زاد المعاد [٣/ ١٧١] .

ذكر من قُتل
من المشركين يوم بدر

قال ابن حزم : وقتل من كفار قريش ومن تبعهم سبعون رجلاً ، فمن مشاهيرهم :

- حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وكان من قتله : زيد بن حارثة .
- وعبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير .
- وأخوه : العاص بن سعيد ، قتله عليّ رضي الله تعالى عنه .
- وعقبة بن أبي معيط ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح صبراً ، وقيل : قتله عليّ رضي الله تعالى عنه .
- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .
- شيبة بن ربيعة .
- والوليد بن عتبة .
- والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف .
- ابن عمه : طعيمة بن عدى ، قتل صبراً .
- وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد .
- وابنه : الحارث بن زمعة .
- وأخوه : عقيل بن الأسود .
- وابن عمه : أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد .
- ونوفل بن خويلد بن أسد ، قيل : قتله ابن أخيه الزبير ، وقيل : على .
- والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، ضربت عنقه صبراً بالصفراء .
- وعمير بن عثمان ، عم طلحة بن عبيد الله .
- وأبو جهل بن هشام ، اشترك في قتله : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ ابن عفراء ؛ ووجده عبد الله بن مسعود وبه رمق ، فحز رأسه .
- وأخوه : العاص بن هشام .
- وابن عمهما : مسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، أخو أم سلمة أم المؤمنين . =

= ○ وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، أخو خالد بن الوليد .
○ وابن عمه : أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة .
○ والسائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقد اختلف فيه ، فقيل : إنه لم يقتل يومئذ بل أسلم بعد ذلك .
○ ومنبه بن الحجاج .
○ وابنه : العاص بن منبه بن الحجاج .
○ وأخوه : نبيه .
○ وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .
○ وابنه : علي بن أمية .
○ وأسر مالك بن عبيد الله بن عثمان ، أخو طلحة بن عبيد الله ، فمات أسيراً وحذيفة وهشام ابنا أبي حذيفة بن المغيرة .
○ وذكر أنه قتل وأسر من بني مخزوم وحلفائهم من المشركين يوم بدر أربعة وعشرون رجلاً .
○ ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلا .

جوامع السيرة [١١٥-١١٧] .

ومن مشاهيرهم
ممن أسر يوم بدر

من بني هاشم :

- العباس بن عبد المطلب .
- وعقيل بن أبي طالب ، أخو علي .
- ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

ومن بني المطلب بن عبد مناف :

- السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف والنعمان بن عمرو ابن علقمة بن المطلب .

ومن بني عبد شمس :

- عمرو بن أبي سفيان بن حرب .
- والحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية .
- وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزي بن عبد شمس ، صهر رسول الله ﷺ ، زوج ابنته زينب .
- وخالد بن أسيد بن أبي العيص .
- وأربعة حلفاء لهم .

ومن بني نوفل بن عبد مناف :

- عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف .
- وعثمان بن عبد شمس بن جابر ، ابن عم عتبة بن غزوان ، لحاً :

ومن بني عبد الدار :

- أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، أخو مصعب بن عمير .

ومن بني أسد بن عبد العزي :

- السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد .
- والحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

ومن بني مخزوم :

- خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

.....

= ○ وصيفي بن أبي رفاعي بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .
○ وابن أخيه : عبد الله بن أبي المنذر بن أبي رفاعة .
○ والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم .
○ وخالد بن الأعلم الخزاعي ، ويقال : عقيلي ، حليف لهم ، وهو القائل :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وهو أول من فر يوم بدر ، فأدرك وأسر .
○ وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .
○ والوليد بن الوليد ، أخو خالد بن الوليد .
○ وعثمان بن عبد الله بن المغيرة .
○ وأبو عطاء : عبد الله بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بني سهم :

○ أبو وداعة بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، وهو أول أسير فدى .

ومن بني جمح :

○ عبد الله بن أبي بن خلف .
○ وأخوه : عمرو بن أبي .
○ وأبو عزة : عمرو بن عبد الله بن عمير بن أهيب بن حذافة بن جمح .

ومن بني عامر :

○ سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي .
○ وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود .

ومن بني أسد بن عبد العزي :

○ عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي بن قصي .

جوامع السيرة [١١٧-١٢٠] .

أسرى غزوة بدر

قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

بعد أن نصر الله عبده ورسوله محمداً ﷺ ، وأعز جنده بمددٍ من عنده سبحانه ، وهُزم المشركون في بدر بأن قُتل منهم سبعون ، وأسر منهم سبعون كان بينهم : العباس عم النَّبيّ ﷺ ، وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وأبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب ابنة رسول الله ﷺ ، ولم يكن قد شرّع الله التفريق بين المؤمنة والكافر ، ولذلك بقيت السيدة زينب رضي الله تعالى عنها مع زوجها أبي العاص بن الربيع كزوجة له ، وعاشا معاً في مكة رغم أن رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة .

فلما أُسر أبو العاص بن الربيع ، أرادت السيدة زينب أن تفك أسره ، وأن تفديه فلم تجد إلا قلادة من ذهبٍ كانت أمها السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها قد جهزتها بها ، فأرسلت القلادة مع أحد المسافرين إلى المدينة لتفدي زوجها أبا العاص بن الربيع من الأسر ، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ، فقال : هذه قلادة زينب جهزتها بها أمها خديجة ، فإن رأيتم أن تردوا لها قلادتها ، وتفكوا لها أسيرها ، فأجابوه لذلك على أن يبعث بها إلى المدينة (١) .

---

(١) عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب في فداء أبي العاص بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص . قالت : فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها » فقالوا : نعم ! وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه ، أو وعده ، أن يخلي سبيل زينب إليه ، وبعث رسول الله ﷺ ، زيد بن حارثة ، ورجلاً من الأنصار ، فقال : « كونا ببطن ياجج حتّى تمر بكما زينب فتصحباها حتّى تأتيا بها » . =

و ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ : جمع أسير ، والأسر هو نبع العبودية والرق ؛ لأن الأسير وقع في قبضة عدوه الأقوى منه .

وما دام قد وقع في قبضة عدوه الذي هو أقوى منه ، فإنه يمكن أن يقتله أو يأخذه عبداً ، وفي هذه الحالة لا نقارن بين أسير أصبح عبداً وبين حر ، وإنما نقارن بين قتل الأسير وإبقائه على قيد الحياة . وعلى ذلك يكون تشريع الله سبحانه وتعالى في تملك الأسرى ، إنما أراد الله به أن يحقن دماءهم ويبقى حياتهم ؛ لأن الأسير مقدور عليه بالقتل ، وكان من الممكن أن يترك سبحانه الأسرى ليقتلوا وتنتهي المشكلة . ولكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يحفظ حتى دم الكافر ، لماذا ؟ لأن الله هو الذي خلقه ، وأتي به إلى هذه الحياة ولذلك فهو يحفظه . وثمة أمر آخر هو : عسى أن يهتدى بعد ذلك ويؤمن ، أو يخرج الله من صلبه ذرية تعبد الله تعالى وتوحده سبحانه .

ومعلوم أن الإسلام لم يبتدع نظام الرق ، بل جاء ليحرر الرقيق من رق عبودية البشر ، إلى عز العبودية لخالق البشر سبحانه ، قد كانت منابع الرق متعددة ، بحق أو باطل ، بحرب أو بغير حرب ، ولم يكن مصرفٌ للرق إلا مصرفاً واحداً ، وهو إرادة السيد أن يعتق عبده .

ومعنى ذلك أن عدد الرقيق والعبيد يتزايد ، ولا ينقص ؛ لأنه كما قلنا هناك مصادر متعددة للتملك ومصدر واحد للتحرر ، فجاء الإسلام وسد كل

= رواه أبو داود [٢٦٩٢] واللفظ له ، وأحمد في المسند [٦ / ٢٧٦] ، والحاكم في المستدرك [٣ / ٢٣٦] ، والبيهقي في دلائل النبوة [٣ / ١٥٤] ، وابن هشام في السيرة [٢ / ٣٢٥] . وقال الألباني في صحيح أبي داود [٢٣٤١] : إسناده حسن .

وقال ابن هشام : كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أي على أبي العاص بن الربيع ، أو وعد رسول الله ﷺ بذلك ، أن يخلي سبيل زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيعلم ما هو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : « كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها » فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدر بشهر أو شيعة فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها ، فخرجت تجهز .

سيرة النبي ﷺ لابن هشام [٢/ ٣٢٥] .

منافذ الرق ؛ إلا باباً واحداً هو باب الحرب المشروعة والّتي تكون جهاداً في سبيل اللّه تعالى وحتّى في هذه قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ ، أي : إن شئتم مننتم عليهم وأطلقتم سراحهم ، وإن شئتم فاديتموهم بمالٍ تأخذونه منهم ، وتشارطونهم عليه ، فالمعاملة بالمثل في هؤلاء الأسرى .

إذن . . الإسلام قصر المنبع على باب واحد ، ويسر فيه ، وعدد أبواب العتق ورغب فيه وجعله كفارة لذنوب كثيرة لا يُكفّر عنها ولا يغفرها اللّه سبحانه وتعالى إلا بعتق رقبة .

وقد ساوى النّبيّ ﷺ بين العبد والسيد ، وألغى التمييز بينهما ؛ من ذلك قوله ﷺ : « إن إخوانكم خولكم ، جعلهم اللّه تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم »[(١)] .

وقال ﷺ : « لا يقولن أحدكم عبدى وأمتي ، كلكم عبيد اللّه ، وكل نسائكم إماء اللّه ، ولكن ليقل غلامى وجاريتي ، وفتاي وفتاتي »[(٢)] .

وفي مرض موته ﷺ جعل يوصي أمته ، ويقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » ، وظل يرددها ﷺ حتّى فاضت روحه الطاهرة[(٣)] .

وقال ﷺ : « ما أطعمت خادمك فهو لك صدقة »[(٤)] .

وقال ﷺ : « من اعتق رقبة مسلمة أعتق اللّه بكل عضو منه عضواً من النار ، حتّى فرجه بفرجه »[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري [٢٥٤٥] واللفظ له ، ومسلم [١٦٦١/ ٤٠] عن أبي ذر الغفاري رضي اللّه تعالى عنه .

(٢) أخرجه البخاري [٢٥٥٢] ، ومسلم [٢٢٤٩/ ١٣] واللفظ له ، عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه .

(٣) رواه أحمد في المسند [٣/ ١١٧] ، وابن ماجه [٢٦٩٧] عن أنس رضي اللّه تعالى عنه ، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [٢١٨٣] : صحيح .

(٤) جزء من حديث رواه أحمد في المسند [٤/ ١٣١، ١٣٢] ، والنسائي في الكبرى [٥/ ٣٧٦] عن المقداد ابن عمرو رضي اللّه تعالى عنه .

(٥) أخرجه البخاري [٦٧١٥] واللفظ له ، ومسلم [١٥٠٩/ ٢٣] .

كذلك أحل الله تعالى للرجل أن يتزوج ممن هي في ملك يمينه ، قال تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء : ٣] فإذا ما تزوجها الرجل وولدت له أصبحت أم ولد ، ويكون أولادها أحراراً ، وقد يمن عليها فيعتقها ؛ أو تعتق هي بمجرد وفاته . وفي ذلك رفع لشأن المرأة ، وتصفية للرق .

وانظر إلى جمال اللفظ في القرآن ، إذ أسند الله تعالى المِلكْ إلى اليمين إذ هي صفة مدح ، واليمين مخصوصة بالمحاسن لتمكنها ، ألا ترى : أنها المنفقة ، كما قال رسول الله ﷺ في وصف السبعة الذين يظلهم الله بظله ، « . . . ورجل تصدق أخفي حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »(١) .

وهي المعاهدة ، والمبايعة ، وهي المتلقية لرايات المجد كما قال الشاعر الشماخ يمدح عرابة الأوسي :

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما رايةٌ رفعت لمجد ... تلقاها عَرَابة باليمين

والأحاديث في فضل اليمين ومنزلتها كثيرة(٢) .

---

(١) أخرج البخاري [٦٦٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ قال : « سبعة يُظِلهُم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمامُ العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » .

(٢) **ما ورد في فضل أصحاب اليمين في القرآن الكريم :**

١ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الواقعة] .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ . [الواقعة] .

٣ - وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المدثر] .

٤ - وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ [البلد] .

=

وإني لأعجب لأحد الجهلاء الّذي يطالب بعدم العمل بآيات الرق في

= ومن الأحاديث الّتي وردت في فضل اليمين :

١ - عن أم عطية رضي اللّه تعالى عنها قالت : قال النّبيّ ﷺ لهنّ في غسل ابنته : « ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها »[١] .

٢ - وعن أبي هريرة ، وأبي سعيد رضي اللّه تعالى عنهما قالا : قال الرسول ﷺ : « إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى »[٢] .

٣ - وعن أنس رضي اللّه تعالى عنه قال : قال النّبيّ ﷺ : لا يتفلن أحدكم بين يديه ولاعن يمينه ولكن عن يساره ، أو تحت رجله[٣] .

٤ - وعن عائشة رضي اللّه تعالى عنها قالت : كان النّبيّ ﷺ يحب الّتيامن ما استطاع في شأنه كله ؛ في طهوره ، وترجله ، وتنعله[٤] .

٥ - وعن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه ، أن الرسول ﷺ قال : إذا تنعل أحدكم فليبدأ باليمين ، وإذا نزع فليبدأ بالشمال ، لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع[٥] .

٦ - وعن ابن عمر رضي اللّه تعالى عنهما أن الرسول ﷺ قال : « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله »[٦] .

٧ - وعن عمر بن أبي سلمة رضي اللّه تعالى عنه قال : كنت في حجر الرسول ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي : « يا غلام : سم اللّه وكل بيمينك ، وكل مما يليك »[٧] .

٨ - وعن أنس رضي اللّه تعالى عنه قال : أتانا الرسول ﷺ في دارنا هذه فاستسقى فحلبنا له شاة ، ثم شبته من ماء بئرنا هذه فأعطيته ، وأبو بكر عن يساره وعمر تجاهه ، وأعرابي عن يمينه ، فلما فرغ قال عمر : هذا أبو بكر ، فأعطى الأعرابي فضلة ، ثم قال : الأيمنون ، الأيمنون ، ألا فيمنوا . قال أنس : فهي سنة ، فهي سنة . ثلاث مرات[٨] . =

(١) أخرجه البخاري [١٦٧] .
(٢) أخرجه البخاري [٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١] .
(٣) أخرجه البخاري [٤١٢] .
(٤) أخرجه البخاري [٤٢٦، ٥٨٥٤] .
(٥) أخرجه البخاري [٥٨٥٥] .
(٦) أخرجه مسلم [٢٠٢٠/ ١٠٥] .
(٧) أخرجه مسلم [٢٠٢٢/ ١٠٨] ، وهو في البخاري [٥٣٧٦] .
(٨) أخرجه البخاري [٢٥٧١] .

القرآن ، متعامياً عن أن الإسلام هو الَّذي يحرر العبيد ، ويحض على عتق الرقاب ، ولا يفرق بين أحمر وأبيض ؛ واقرأوا إن شئتم قول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

إذن . . اللَّه سبحانه وتعالى يجعل الرق الناشئ من الأَسْر مقيداً في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .

والإثخان هو : القوة والشدة ، تقول : فلان أثخنه المرض أي اشتد عليه وقوى عليه ، وحتَّى بعض الناس في لغتهم العامية يقولون : أغلظ عليه ، أي : أثخن عليه ، أي في قوة وغلظة .

وأنت حين تريد أن تثخن في الحرب لا تأخذ أسرى لأنك تيسر لهم ولا تثخن عليهم .

والسؤال هو : هل خالف رسول اللَّه ﷺ منهج اللَّه أو حكماً للَّه في الأسرى ؟ بالطبع لا . . إن هذه الآيات كانت بداية لتشريع أحكام الأسرى في الإسلام . ولذلك لا يصح أن يقول أحد : إن اللَّه عاتب رسوله ، أو أن رسول اللَّه ﷺ أخطأ ؛ لماذا ؟ لأنه لو كان هناك حكم من اللَّه في الأسرى لاختلف الموقف ، ولكنها مسألة لم يُنْزل اللَّه سبحانه وتعالى فيها حكماً بعد . وما دام لا يوجد حكم فقد استشار رسول اللَّه ﷺ الصحابة ، ففريق قال نأخذ الفداء وفريق قال نقتلهم ، فرجح رسول اللَّه ﷺ الرأي الَّذي يراه صواباً .

إن تأول بعض الناس لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ إنه عتاب من اللَّه تعالى لرسوله ﷺ ، نقول لهم : لا إن هناك فرقاً

= ٩ - وعن عبد اللَّه بن عمرو قال الرسول ﷺ : « إن المقسطين عند اللَّه على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل - وكلتا يديه يمين - الَّذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (١) .

أحكام الأسرة للشيخ الشعراوى [١٨٦-١٨٨] .

---

(١) أخرجه مسلم [١٨٢٧/١٨] .

بين حكم يسبق الحدث فلا يخالفه رسول الله ﷺ ، وحكم يجيء مع الحدث ، لا بدَّ أن نفرق بين الحكمين ، حكم يسبق الحدث إذا خولف تكون هناك مخالفة ، أما حكم يأتي مع الحدث هذه عملية أخرى .

لنفرض مثلاً أنك جالس وجاء من يقول لك : إن ابنك ذهب إلى المكان الفلاني ، وأنه ينفق على كذا وأعطى كمبيالة على نفسه بمبلغ كذا ، اذهب إليه لتمنعه . . الحكم هنا جاء مع الحدث . إذن . . فلا تكون هناك مخالفة .

قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الحكم هنا يقول : ما ينبغي للنَّبيّ أن يكون له أسرى حتَّى يقسو على الكفار في القتال . هذا الحكم متى جاء؟ جاء بعد أن تم أسر كفار قريش وأخذوا إلى المدينة ، وتشاور رسول الله ﷺ مع الصحابة ، ووصلوا إلى رأي .

إذن . . فالحكم جاء بَعْدُ ، وأن الله سبحانه وتعالى لم يغير الحكم ، فظل الأسر والفداء .

وقوله تعالى : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ينبه الله تعالى هنا المؤمنين إلى أنهم لو كانوا يريدون الأسرى لعرض الدنيا ، أي : يحصلون على مال ؛ أو يكون عندهم عبيد يخدمونهم فذلك مرفوض في الإسلام ؛ لأن الله لا يريد من المؤمن أن يلتفت لعرض الدنيا ، ولا أن يكون هذا همه وشغله الشاغل ، بل يريد سبحانه من المؤمنين أن يعملوا لآخرتهم حيث الحياة الدائمة والنعيم المقيم ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ولا يمكن أن تكون هدفاً في ذاتها للمؤمن ، ولكنها هدف للَّذي لا يؤمن بالآخرة .

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ عزيز لا يغلب ، وحكيم يضع كل شيء في موضعه .

الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ . . . ﴾ [الأنفال : ٧٠] .

ما الَّذي أُخذ من الأسرى ؟ إما المال فداء وإما حريتهم ، وهذه الآية قد نزلت في العباس عم رسول الله ﷺ حين قال : قد كنت مسلماً ، ولكن القوم

أكرهوني على الخروج معهم . فقال له رسول الله ﷺ قولته التي علمها له الله ، بأن نزل الوحي على رسول الله ليبلغه قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ أي : إذا صح كلام العباس في أنه أسلم وكتم إسلامه فالله يعلم ما في قلبه وسيعطيه خيراً مما أخذ منه ، وفعلاً بارك الله للعباس فيما يملك ، وأعطاه أضعاف أضعاف ما أخذ منه ؛ لأنه سبحانه يعلم ما في قلبه من الخير[١] .

---

(١) قال الحافظ السيوطي : وأخرج الحاكم وصححه البيهقي في سننه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت « لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم . بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ قلادة لها في فداء زوجها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق رقة شديدة ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ؟ » وقال العباس رضي الله تعالى عنه : إني كنت مسلماً يا رسول الله . قال : الله أعلم بإسلامك ، فإن تكن كما تقول فالله يجزيك فافد نفسك وابني أخويك نوفل بن الحارث ، وعقيل بن أبي طالب ، وحليفك عتبة بن عمر ، وقال : ما ذاك عندى يا رسول الله . قال : فأين الذي دفنت أنت وأم الفضل ؟ فقلت لها : إن أصبت فإن هذا المال لبني . فقال : والله يا رسول الله إن هذا لشئ ما علمه غيري وغيرها ، فاحسب لي ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معي فقال : افعل . ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه ، ونزلت : ﴿ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٧٠] فأعطاني مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال نصرت به مع ما أرجو من مغفرة الله[١] .

وأخرج ابن سعد والحاكم وصححه عن أبي موسى «أن العلاء بن الحضرمى رضي الله تعالى عنه بعث إلى رسول الله ﷺ مالاً أكثر منه فنثر على حصير ، وجاء الناس فجعل رسول الله ﷺ يعطيهم وما كان يومئذ عدد ولا وزن ، فجاء العباس فقال : يا رسول الله ، إني أعطيت فدائى وفداء عقيل يوم بدر ، أعطنى من هذا المال ، فقال : خذ ، فحثى في قميصه ثم ذهب ينصرف فلم يستطع ، فرفع رأسه وقال : يا رسول الله ، ارفع على . فتبسم رسول الله ﷺ وهو يقول : « أما أخذ ما وعد الله فقد نجز ولا أدرى الأخرى ﴿ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٧٠] هذا خير مما أخذ منى ولا أدرى ما يصنع في المغفرة »[٢] .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك [٣/ ٢٣] وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٣٢٢] .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك [٣/ ٣٣٠] وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

وعندما نزلت هذه الآية كانت موافقة لرسول الله ﷺ وإقراراً من الله تعالى على ما فعله رسول ﷺ . ولذلك قال الرسول ﷺ . . لا يطلق سراح الأسرى إلا بالفداء أو تضرب الرقاب . فقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ، إلا سهل بن بيضاء ، فإنني عرفته يذكر الإسلام ويصنع كذا وكذا ، فسكت رسول الله ﷺ ، ثم قال : « إلا سهل بن بيضاء علم الله أن في قلبه خيراً فأعطاه خيراً (١) .

= وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين من قريش منهم العباس وعقيل ، فجعل عليهم الفداء أربعين أوقية من ذهب ، وجعل على العباس مائة أوقية ، وعلى عقيل ثمانين أوقية ، فقال العباس رضي الله تعالى عنه : لقد تركتني فقير قريش ما بقيت ؟ فأنزل الله ﴿ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ ﴾ حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامي وسألته أن يقاسمني بالعشرين الأوقية التي أخذت مني ، فعوضني الله منها عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمالي مع ما أرجو من رحمة الله ومغفرته .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان العباس رضي الله عنه قد أسر يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال حين نزلت : ﴿ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ ﴾ ، لقد أعطاني الله خصلتين ما أحب أن لي بهما الدنيا ، أني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية فأعطاني الله أربعين عبداً ، وإني أرجو المغفرة التي وعدنا الله .

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ ﴾ قال : عباس وأصحابه قالوا للنبي ﷺ : آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله ، فنزل ﴿ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ أي ايماناً وتصديقاً يخلف لكم خيراً مما أصبت منكم ، ويغفر لكم الشرك الذي كنتم عليه ، فكان عباس يقول : ما أحب ان هذه الآية لم تنزل فينا وأن لي ما في الدنيا من شيء ، فلقد أعطاني الله خيراً مما أخذ مني مائة ضعف ، وأرجو أن يكون غفر لي .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله : ﴿ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ ﴾ الآية .

قال : نزلت في الأسارى يوم بدر ، منهم العباس ابن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث ، وعقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .

الدر المنثور [٤/١١١-١١٣] .

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » . =

وقول الحق سبحانه : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٠] أي : إن كنتم كما ـ تقولون ـ مسلمين لله خرجتم كرهاً للقتال ، فهذه مسألة يعلمها الله وحده فهو سبحانه علام الغيوب ، فإن كان زعمكم هذا صحيحاً فسيعطيكم الله خيراً مما أخذ منكم وسيغفر لكم لأنه هو الغفور الرحيم .

وبعض الأسرى لما استقر الأمر ، على أساس إما الفداء وإما ضرب

= قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ؛ لعل الله يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذبوك ، فاضرب أعناقهم .

قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرم عليهم ناراً .

قال : فقال العباس : قطعت رحمك ، قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً .

قال : فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة .

قال : فخرج رسول الله ﷺ فقال : «إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة .

وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام ، قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى . قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨]

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح ، قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ وإن مثلك يا عمر كمثل موسى ، قال : ﴿ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨] ، أنتم عالة ، فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق » .

قال عبد الله : فقلت : يا رسول الله ، إلا سهيل بن بيضاء ، فإني قد سمعته يذكر الإسلام .

قال : فسكت .

قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء في ذلك اليوم ، حتى قال : « إلا سهيل بن بيضاء » .

قال فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

إلى قوله : ﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

---

(١) رواه أحمد في المسند [١/ ٣٨٣، ٣٨٤] ، والحاكم في المستدرك [٣/ ٢١، ٢٢] وقال : هذا حديث =

الرقاب . قالوا : يا رسول الله ، إن عندنا مالاً في مكة ، فاسمح لنا نذهب إلى هناك ونحضر لك الفداء . فخشي رسول الله ﷺ أن تكون هذه خدعة للإفلات من الأسر ، فهل يطلق سراحهم ويصدقهم فيحضروا الفدية ، أم قد أضمروا الخيانة والغدر وهذه حيلة ؟ حينئذٍ نزل قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧١] أي أن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ : لا توافقهم على ما يريدون ، ولا تأمن لهم ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي : من قبل بدر ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ يوم بدر .

وقول الحق جل جلاله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما في صدورهم ، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في فعله ، فلا يضع الأمر إلا في موضعه (١) .

---

(١) قال ابن كثير في قوله : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾ فيما أظهروا لك من الأقوال ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل بدر بالكفر به ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ أي بالأسارى يوم بدر ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عليم بفعله حكيم فيه ، قال قتادة : نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا لنتصحن لك على قومنا وقسرها السدى على العموم وهو أشمل وأظهر ، والله أعلم .
تفسير ابن كثير : [٢/ ٣١٤] .

= صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وقال الشيخ شاكر [٣٦٣٢] : ضعيف لانقطاعه ؛ أبو عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود . و « سهيل بن بيضاء » هو سهيل بن وهب بن ربيعة ، نسب إلى أمه « البيضاء » ، وهي دعد بنت جحدم بن عمرو ، وسهيل هذا من المهاجرين ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها ، فهو أحد الرواة ، والصواب « سهل بن بيضاء » بفتح السين وسكون الهاء ، وهو أخو سهيل لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : « أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها في نفير بدر ، فشهد بدرا مع المشركين ، فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ، فخلى عنه . والذي روى هذه القصة في سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل ابن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ مسلماً ، لا شك فيه ، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلاً أشهر من أخيه سهل . والقصة في سهل .
انظر ابن سعد [٣/ ١/ ٣٠٢و٤/ ١/ ١٥٦] والإصابة [٣: ١٣٧، ١٤٤] وسيأتي على الصواب « سهل ابن بيضاء » في رواية جرير عن الأعمش عند أحمد [١/ ٣٨٤] .

فضائل بدر والبدريين

لقد كانت موقعة بدر - رغم صغر حجمها - فاصلة في تاريخ الإسلام ؛ لذلك سماها الله تعالى في كتابه بـ ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ لأنه فرق بها بين الحق والباطل ، وفيها حققت العقيدة الإسلامية انتصارات كبيرة ، فقد ظهر استعلاؤها على سائر المصالح والمطامح والعلائق الدنيوية .

فهاهم الأنصار يعلنون قبل بدئها أن التزاماتهم تجاه العقيدة لاتحدها اللوائح والعهود التي قطعوها في بيعة العقبة الثانية ، بل هم جند مطيعون ومضحون من أجل عقيدتهم دون شرط ولا قيد .

وهاهم المهاجرون يواجهون أقاربهم في المعركة فالابن يلقى أباه والأخ يلقى أخاه ، فلا تمنعهم أواصر القربى من قتلهم ؛ لأن مصلحة العقيدة فوق كل آصرة وارتباط .

وقد استحق المقاتلون ببدر أن ينالوا التقدير الكبير الذي صار يلازم كلمة «البدرى حتى كوّنوا الطبقة الأولى من الصحابة في سجل الجند لعمر رضي الله تعالى عنه فكانوا يأخذون أعلى العطاء واحتلوا الصفحات الأولى من كتب الطبقات ، وهكذا نالهم التكريم الأدبي والمادى على مر الدهور .

وقد أوضحت الأحاديث الصحيحة فضل البدريين وعلو مقامهم في الجنة ، فقد أصيب حارثة بن سراقة الأنصاري يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع . فقال : « ويحك - أو هبلت - أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس » [(١)] .

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي أخبر قريشاً بخبر قدوم المسلمين لفتح مكة فعفا عنه الرسول ﷺ فقال : لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم » [(٢)] ولما قال عبدُ لحاطب : يا رسول الله ، ليدخلن حاطب =

(١) أخرجه البخاري [٣٩٨٢] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣٩٨٣] واللفظ له ، ومسلم [٢٤٩٤/١٦١] عن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

= النار . قال رسول الله ﷺ : « كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية »[١] .

وكانت أصداء بدر عميقة في المدينة ومكة وأرجاء الجزيرة العربية فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين ، فانخذل اليهود وظهرت أحقادهم الّتي دفعت بهم إلى المجاهرة بالعداء ، فقد غاظتهم النتيجة الّتي ما كانوا يتوقعونها فلم يعودوا يسيطرون على أفعالهم وأقوالهم الّتي تنم عن الغضب والحقد المتأججين . فاندفعوا نحو العدوان مما أدى إلى إجلاء بني قينقاع عن المدينة .

ودخل الكثيرون في الإسلام ، وبعضهم دخل حماية لمصالحه بعد أن شعر برجحان كفة المسلمين ، فكوّن هؤلاء جبهة المنافقين الّذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ بن سلول .

وأما قريش في مكة فلم تكد تصدق ما حدث ، فقد قتل ساداتها وأبطالها ، وتشير رواية مرسلة إلى أنها تجلدت فمنعت البكاء والنياحة على قتلاها ؛ لئلا يشمت بهم المسلمون[٢] وصممت على الانتقام والثأر ، فأرسلت عمير بن وهب الجمحي لاغتيال الرسول ﷺ بعد أن وعده صفوان بن أمية بإعالة أهله إن قتل ، فمضى إلى المدينة متوشحاً سيفه ، فلما بلغ المسجد أمسك به عمر بن الخطاب وذهب به إلى الرسول ﷺ فسأله عما جاء به فكذب عليه وزعم أنه جاء في طلب أسير ، فأخبره الرسول ﷺ بمقصده وما كان بينه وبين صفوان بن أمية ، فأعلن إسلامه وطلب أن يأذن له بدعوة أهل مكة إلى الإسلام .

ومما فعلته قريش للثأر لقتلاها أنها اشترت اثنين من أسرى المسلمين في حادثة الرجيع وهما خبيب وزيد بن الدثنة فقتلتهما[٣] .

السيرة النبوية الصحيحة [٢/ ٣٧١-٣٧٣] .

(١) أخرجه مسلم [٢٤٩٥/ ١٦٢] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما .

(٢) انظر السيرة لابن هشام [٢/ ٣٤٠] .

(٣) أخرجه البخاري [٣٩٨٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

غزوة بني سليم

فلما قدم المدينة - من بدر - لم يقم بها إلا سبع ليال حتّى غزا بنفسه يريد بني سليم ، فبلغ ماءًا من مياههم يقال له : الكدر[١] فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذى القعدة وأفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش[٢] .

وقال ابن الجوزي : كانت على رأس سبعة وعشرين شهراً ، بناحيه الفرع[٣] وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من بني سُلَيم ، فخرج فتفرقوا[٤] .

ويقال : قرارة الكدر ، أو قرقرة الكدر ، وهي ناحية معدن بني سليم وحمل لواءه عليّ ابن أبي طالب ، واستخلف على المدينة عبد اللّه بن أم مكتوم .

وقيل : سباع بن عُرْفُطة ، فسار إليهم فلم يجد في المحال أحداً ووجد غلاماً يقال له يسار ، فانصرف رسول اللّه ﷺ وقد ظفر بالنعم ، فانحدر به إلى المدينة ، فاقتسموا أنعامهم بصرار- على ثلاثة أميال من المدينة - وكانت النعم خمسمائة بعير ، فأخرج خُمسه وقسم أربعة أخماس على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بعيرين وكانوا مائتي رجل ، وصار يسار في سهم النّبيّ ﷺ فأعتقه حين رآه يصلي ، وغاب رسول اللّه ﷺ خمس عشرة ليلة[٥] .

---

(١) كدر : جمع أكدر ، قرقرة الكدر . قال الواقدى بناحية المعدن قريبة من الأرحضية ، بينها وبين المدينة ثمانية برد : وقال غيره : ماء لبني سليم .

(٢) الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٧٧] ، وانظر زاد المعاد [٣/ ١٨٩] .

(٣) الفُرع : عمل من أعمال المدينة ، والصفراء وأعمالها من الفُرع ، وكانت من ديار « عاد » .
لسان العرب : [٨/ ٢٥١] .

(٤) الوفا بأحوال المصطفى [٢/ ٣٩٨] .

(٥) السيرة النبوية للحافظ الدمياطي [ص: ١٩٠، ١٩١] وجعلها الحافظ الدمياطي غزوة غير غزوة بني سليم ، وانظر [ص: ١٩٢] ، والإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ [ص: ٢١٨، ٢١٩] .

غزوة السويق (*)

قد حاول كفار قريش قبل يوم أُحد أن يصنعوا شيئاً ، ولكنهم كانوا يردون على أعقابهم . كان أبو سفيان حين رجع جيش قريش منهزماً من بدر نذر ألا يمسَّ رأسه من جنابة حتَّى يغزو محمداً ﷺ فخرج في مائتي راكب من قريش . وأراد أن يهاجم المدينة ، فلما وصل خبر هذه الحملة إلى رسول اللّه ﷺ خرج الرسول ﷺ في طلبهم حتَّى بلغ قرقرة الكُدْر .

فبلغ أبا سفيان خروج رسول اللّه ﷺ ففر هارباً هو ومن معه وطرحوا من أزوادهم يتخففون منها للنجاة ، وليخف الحمل على الدواب فتسرع في الحركة إلى الهرب ؛ وكان أكثر ما طرحوه جرْبُ السويق فيأخذها المسلمون ولذلك يسمونها غزوة السويق[١] .

(*) كانت على رأس اثنين وعشرين شهراً ، واستخلف أبا لبابة . الوفا بأحوال المصطفى [٢/ ٣٩٦] .

(١) قال الإمام أبو الربيع الأندلسي : وكان أبو سفيان بن حرب حين رجع فلّ[١] قريش من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتَّى يغزو محمداً ﷺ ، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبرّ يمينه ، فسلك النجدية حتَّى نزل بصدر قناة ، على بريد أو نحوه من المدينة ، ثم خرج من الليل حتَّى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن[٢] له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتَّى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً منهم فأتوا ناحية العريض فحرقوا بها أصوار نخل[٣] وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفاً له =

---

(١) الفل : المنهزم من الجيش .

(٢) بطن : أي أخبره بأسرارهم .

(٣) الأصوار : جمع صور وهو النخل الصغار أو المجتمع .

= في حرب لهم ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر[٤] بهم الناس فخرج رسول اللّه ﷺ في طلبهم حتّى بلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف وقد فاته أبو سفيان بن حرب وأصحابه ، وطرحوا من أزوادهم يتخففون منها للنجاة ، وكان أكثر ما طرحوه السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير ، فسميت غزوة السويق ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول اللّه ﷺ : يا رسول اللّه ، أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

الاكتفاء في مغازي رسول اللّه والثلاثة الخلفاء [٢/ ٧٧، ٧٨] .

(١) نذر بهم الناس : شعروا بهم وحذروهم .

غزوة ذي أمر « غطفان »

قال ابن القيم : أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأقام هناك صفراً كله من السنة الثالثة ، ثم انصرف ، ولم يلق حرباً[١] .

وقال ابن الجوزي[٢] : كانت على رأس قمة وعشرين شهراً ، واستخلف عثمان بن عفان وذلك أنه بلغه أن جمعاً قد تجمعوا ، فخرج ، فهربوا منه . وجاء غورث بن الحارث ، والنبيّ ﷺ تحت شجرة وبيده سيف فقال : من يمنعك مني؟

فقال : الله . فأسلم[٣] ، ورجع رسول الله ﷺ .

ثم غزا رسول الله ﷺ غطفان إلى نجد وهي ذو أمر - بفتح الهمزة والميم في آخرها راء - ناحية النخيل ، في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجره ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بذى أمر وجمعُوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ جمعهم يقال له دعثور بن الحارث من بني محارب ، فندب رسول الله ﷺ الناس وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأصابوا رجلاً منهم بذى القصة يقال له جبار من بني ثعلبة فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم وقال : لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك لقد هربوا في رؤوس الجبال وأنا =

(١) زاد المعاد [٣/ ١٩٠] ، وتاريخ الطبري [٢/ ١٧٧] ، والسيرة لابن هشام [٢/ ٤٥٥] ، والبداية والنهاية [٤/ ٣] .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى [٣/ ٣٩٧] .

(٣) وفي الحديث أنه لم يسلم ، روى أحمد في المسند [٣/ ٣٦٥] . عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتّى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال : من يمنعك مني قال : « الله عز وجل » فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال : « من يمنعك مني » قال : كن كخير آخذ ، قال : « أتشهد أن لا إله إلا الله » قال : لا ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله . قال : فذهب إلى أصحابه قال : قد جئتكم من عند خير الناس . . . » الحديث : ورواه البيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٦٧] بدون ذكر قصة إسلامه .

= سائر معك ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ، وضمه رسول الله ﷺ إلى بلال ، ولم يلاق رسول الله ﷺ أحداً إلا أنهم نظروا إليهم في رؤوس الجبال ، وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه مطر ، فنزع رسول الله ﷺ ثوبيه ونشرهما ليجفا وألقاهما على شجرة واضطجع ، فجاء رجل من العدو يقال له دعثور بن الحارث ومعه سيف حتى قام على رأس رسول الله ﷺ ثم قال : من يمنعك مني اليوم ، قال رسول الله ﷺ : « الله » ودفعه جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ وقال له : « من يمنعك مني اليوم » ، قال : لا أحد ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم أتى قومه فجعل يدعوهم إلى الإسلام ، ونزلت هذه الآية فيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ [المائدة : ١١] .

ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة [١] .

(١) ابن سعد [٢/ ٣٤] .

غزوة بحران

قال ابن القيم : أقام عليه السلام بالمدينة ربيعاً الأول ، ثم غزا يريد قريشاً ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، فبلغ بحران ، معدناً بالحجاز ، ولم يلق حرباً ، فأقام هنالك ربيعاً الآخر وجمادى الأولى من السنة الثالثة ، ثم انصرف إلى المدينة [١] .

ثم غزا الرسول ﷺ بحران من ناحية الفرع على الطريق التجارية بين مكة والشام ولم يقع قتال . وذكر الواقدى أنه غاب عن المدينة في هذه الغزوة عشرة أيام .

وبيّن ابن سعد أن عدد جيش المسلمين كان ثلثمائة مقاتل [٢] .

(١) زاد المعاد [٣/ ١٩٠] ، جوامع السيرة لابن حزم [١٢١] ، السيرة لابن هشام [٢/ ٤٥٥] ، الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٧٨] .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة [٢/ ٣٧٥] .

غزوة بني قينقاع

قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران] .

لقد نقض بنو قينقاع عهدهم مع رسول اللّه ﷺ وهم أول من نقض العهد من اليهود .

وكان الرسول ﷺ قد جمعهم في سوق بني قينقاع وقال لهم : « يا معشر يهود ، احذروا من اللّه مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم من كتبكم وأحباركم أني النّبيّ الخاتم الّذي بشرت به رسلكم وأنبياؤكم وأمروكم باتباعه ساعة ظهوره » .

فرفضوا ، وقالوا : يا محمد ؛ إنا واللّه لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس .

فنزل فيهم قول الحق : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[1] [آل عمران : ١٢] .

وكان سبب ذلك أن امرأة من العرب قدمت بحلب لها لتبيعه في سوق بني قينقاع .

---

(١) وعن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا . . . ﴿١٣﴾ ﴾[آل عمران] أي : أصحاب بدر من أصحاب رسول اللّه ﷺ وقريش : ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران : ١٣] .

السيرة لابن هشام : [٢ / ٤٥٦] .

فجلست إلى صائغ يهودى بالسوق ، فجعل اليهود يراودونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، وهي لا تشعر به ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت المرأة . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فحملت اليهود على المسلم فقتلوه ، واستنجد أهل المسلم بالمسلمين على اليهود فحاصرهم رسول الله ﷺ حتّى نزلوا على حكمه على أن له أموالهم ولهم النساء والذرية [1] .

(١) قال ابن الجوزي : كانت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً . وكانوا يهودا . فحمل لواءه حمزة ، واستخلف أبا لبابة .
الوفا بأحوال المصطفى [٢/ ٣٩٦] . وانظر زاد المعاد [٣/ ١٩٠] ، والبداية والنهاية [٣/ ٤، ٥] .
وقال الحافظ الدمياطي : غزا رسول الله ﷺ بني قينقاع يوم السبت النصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجره ، وكانوا حلفاء عبد الله بن أُبي بن سلول وكانوا أشجع يهود ، وكانوا صاغة فوادعوا النّبيّ ﷺ ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة ، فأنزل الله على نبيه : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ الآية ، فسار إليهم وحمل لواءه وكان أبيض ، حمزة بن عبد المطلب ، ولم تكن الرايات يومئذ ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، ثم سار إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة وكانوا أول من غدر من اليهود ، وحاربوا وتحصنوا في حصنهم ، فحاصرهم أشد الحصار حتّى قذف الله في قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وأن لرسول الله أموالهم وأن لهم النساء والذرية ، فأمر بهم فكتفوا واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمى من بني السلم ، فكلم عبد الله بن أُبي فيهم رسول الله ﷺ وألح عليه فقال خذهم لعنهم الله ولعنه ، وتركهم من القتل وأمر بهم أن يجلوا من المدينة ، وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت فلحقوا بأذرعات فكان أقل بقائهم فيها .
وأخذ رسول الله ﷺ ثلاث قسي قوساً تدعى الكتوم كسرت بأُحد وقوساً تدعى الروحاء وقوساً تدعى البيضاء ، وأخذ درعين من سلاحهم يقال لها الصغد وأخرى فضة وثلاثة أسياف سيف قلعي ، وسيف يقال له البتار ،سيف آخر وثلاثة أرماح ، ووجدوا في حصنهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة فأخذ رسول الله ﷺ صفية والخمس وفض أربعة أخماس على أصحابه ، وكان الّذي تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة [1] .

(١) ابن سعد [٢/ ٢٨، ٢٩] .

مقتل كعب بن الأشرف

لما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بشيرَيْن إلى مَنْ بالمدينة مِنَ المسلمين بفتح الله عليه وقتل من قتل من المشركين ببدرٍ ، قال كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيئ ، ثم أحد بني نبهان ، وأمه من بني النضير ، حين بلغه هذا الخبر ، أحق هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لي من ظهرها . فلما تبين عدو الله الخبر ، خرج حتّى قدم مكة ، فجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ، ويبكي أصحاب القليب من قريش ، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتّى آذاهم . فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ لي من ابن الأشرف ؟ » .

فقال له محمد بن مسلمة الأشهلي : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » .

فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له : « لِمَ تركت الطعام والشراب ؟ » فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أفيَ لك به أم لا ؟ .

قال : « إنما عليك الجهد » ، قال : يا رسول الله لا بدّ لنا من أن نقول .

قال : « قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك » .

فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلامة أبو نائلة ، وعباد بن بشر والحارث ابن أوس ، وكلهم من بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة . ثم قدّموا إلى عدو الله ، ابن الأشرف سلكان بن سلامة ، وكان أخاه من الرضاعة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ثم قال :

ويحك يا ابن الأشرف ! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني .

قال : أفعل .

قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتْنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتّى ضاع العيال وجهدت الأنفس . فقال كعب : أنا ابن الأشرف ! أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول .

فقال له سلكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك .

قال : أترهنوني نساءكم ؟

قال : كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ؟ =

= قال : أترهنوني أبناءكم ؟
قال : لقد أردت أن تفضحنا ، يسب ابن أحدنا فيقال : رهن في وسق شعير!
ثم قال له : إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة [١] ما فيه وفاء . وأراد سلكان ألا ينكر السلاح إذا جاءوا بها .
قال : إن في الحلقة لوفاءا .
فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم وأمرهم أن يأخذوا السلاح ويجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ ، فمشى معهم صلوات الله عليه إلى بقيع الغرقد في ليلة مقمرة ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم . ثم رجع إلى بيته .
فأقبلوا حتّى انتهوا إلى حصنه ،فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة .
قال : إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني .
فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشر .
فقال لها كعب : لو يُدعى الفتى لطعنة لأجاب !
فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، فقالوا له : هل لك يا ابن الأشرف إلى أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث فيه بقية ليلتنا هذه؟ .
قال : إن شئتم .
فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده [٢] ، فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتّى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفود رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً .
قال محمد بن مسلمة : فتذكرت مغولاً [٣] كان في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار ، قال : فوضعته في ثُنّته [٤] ثم تحاملت عليه حتّى بلغت غايته فوقع عدو الله [٥] .
وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو رأسه أصابه بعض أسيافنا ، فخرجنا حتّى =

(١) الحلقة : السلاح .
(٢) شام يده : أدخلها . والفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن أو ناحية الرأس .
(٣) المغول : نصل طويل أو سيف دقيق له قفا .
(٤) الطبري : في ثندوته والثنة : العانة أو ما بينها وبين السرة .
(٥) حديث قتل كعب بن الأشرف أخرجه البخاري [٤٠٣٧] ، ومسلم [١١٩/١٨٠١] ، وأبو داود [٢٧٦٨] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم .

= أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا الحارث بن أوس صاحبنا ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا .

ثم رجعنا إلى أهلينا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه .

وذكر ابن عقبة : أن كعب بن الأشرف لما قدم على قريش يستنفرهم على رسول الله ﷺ قال له أبو سفيان والمشركون : نناشدك الله ، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ، فإنا نطعم الجزور الكوماء [1] ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال .

فقال ابن الأشرف : أنتم أهدى سبيلاً ، فأنزل الله فيه والله أعلم بما ينزل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٥١] .

وذكر ابن إسحاق أن هذه الآية إنما نزلت في حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وجماعة غيرهما من أحبار يهود ، ليس ابن الأشرف مذكوراً فيهم ، وهم الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ ، فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول فسلوهم : أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم فقالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم الآية المذكورة . فالله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق ، وقال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه . فوثب محيصة بن مسعود الأوسي على ابن سنينة من تجار يهود ، وكان يلابسهم ويبايعهم فقتله ، فلما قتله جعل أخوه حويصة بن مسعود ، ولم يكن أسلم يومئذ ، وكان أسن من محيصة ، يضربه ويقول : أي عدو الله أقتلته ، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ! فقال محيصة : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك !

قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها ، قال : والله إن ديناً بلغ منك هذا لعجب ! فأسلم حويصة ، وقال محيصة في ذلك :

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب [2]

حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى ما أصوبه فليس بكاذب =

(١) الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

(٢) الذفري : عظم ناتئ خلف الأذن . والأبيض القاضب : السيف البتار .

= وما سرني أني قتلتك طائعاً وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

وذكر ابن هشام أن هذا عرض لمحيصة بعد غزوة بني قريظة وظفر رسول الله ﷺ بهم، وأن رسول الله ﷺ دفع إليهم منهم كعب بن يهوذا. قال: وكان عظيماً فيهم، ليقتله، فقال له أخوه حويصة وكان كافراً: أقتلت كعب بن يهوذا؟ قال نعم. قال: أما والله لرب شحم نبت في بطنك من ماله، إنك للئيم. فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك. فعجب من قوله، ثم ذهب عنه متعجباً، فذكروا أنه جعل ينتفض من الليل فيعجب من قول أخيه محيصة حتى أصبح وهو يقول: والله إن هذا لدين. ثم أتى النبي ﷺ فأسلم.

الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٢/ ٨١-٨٦).

ما قيل من الشعر في يوم بدر

وكان مما قيل : في يوم بدر من الشعر : قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله ، ومن أهل العلم من ينكرها له :

ألم تر أمراً كان من أعجب الدهر ... ولِلحَيْنِ أسباب مُبَيِّنَةُ الأمر (١)
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم ... فجانوا تواص بالعقوق وبالكفر (٢)
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رهوناً بالرَّكِيَّةِ من بدر (٣)
وكنا طلبنا الخير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدْر
فلما التقينا لم تكن مَثْنَوية ... لنا غير طعن بالمثقَّفة السُّمرِ (٤)
وضرب بيض يختلى الهامَ حدُّها ... مشهرة الألوان بينة الأثرِ (٥)
ونحن تركنا عتبة الغي ثاوياً ... وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر (٦)
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقَّت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤى بن غالب ... كرام تفر عن الذوائب من فهر
أولئك قوم قُتِّلوا في ضلالهم ... وخلوا لواء غير مُختَضَر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله ... فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر (٧)
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً ... برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإنني ... أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا ... وكان بما لم يُخبِر القوم ذا خبر =

(١) ابن هشام : كان من عجب الدهر .
(٢) أفادهم : أهلكهم . وجانوا : جاء حينهم .
(٣) الركية : البئر غير المطوية .
(٤) المثنوية : الرجوع والانصراف .
(٥) يختلى يقطع . والأثر : بفتح الهمزة : فرند السيف . وليس هذا مراداً هنا . وبالضم : أثر الجراح يبقى بعد البرء . ولعله هو المقصود .
(٦) تجرجم : تسقط . والجفر : البئر لم تطو ، أو طوى بعضها .
(٧) خاس : غدر .

= فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعُنا ثلاث مئين كالمسدمة الزهر [١]
وفينا جنود الله حين يمدنا بهم في مقام ثَمّ مستوضح الذكر
فمد بهم جبريل تحت لوائنا لدى مأزق فيه منایاهم تجرى

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في يوم بدر ، ولم ير ابن هشام أحداً يعرفها من أهل العلم :

ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة فلاقوا هواناً من إسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل مبينة آياته لذوى العقل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم فزادهم ذو العرش خبلاً على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها [٢] وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشئ ذي حمية صريع ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم تجود بإسبال الرشاش وبالويل
نوائح تنعى عتبة الغى وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مَسَلْبَةُ حرّى مبينة الثُّكل [٣]
ثوى منهم في بئر بدر عصابة ذوى نجدات في الحروب وفي المَحْل
دعا الغى منهم من دعا فأجابه وللغى أسباب مرمّقة الوصل [٤]
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل عن الشعب والعدوان في أشغل الشغل [٥]

وقال كعب بن مالك أخو بني سلمة :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً بغوا وسبيل الغى في الناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتّى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا بأجمعها كعب جميعاً وعامر =

(١) المسدمة : الفحول الهادرة . والزهر : البيض .
(٢) عصوا بها : ضربوا .
(٣) المسلبة : التي تلبس السلاب ، وهي الثياب السود ، حداداً .
(٤) المرمق : الضعيف .
(٥) في سيرة ابن كثير [٢/ ٥٢٦] في أسفل السفل .

وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه ... يمشون في الماذي والنقع ثائر[١]
فلما لقيناهم وكل مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عُرِّيَتْ بيض خفاف كأنها ... مقابيس يزهيها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والذيمى غادرن في الوغى ... وما منهما إلا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها ... وكل كفور في جهنم صائر
تلظي عليهم وهي قد شب حَمْيُها ... بزبر الحديد والحجارة ساجر[٢]
وكان رسول الله قد قال أقبلوا ... فولوا وقالوا إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمر حمه الله زاجر

ولضرار بن الخطاب الفهرى في هذا الروى شعر ، ذكر ابن إسحاق أن كعب بن مالك أجابه عنه بهذا الشعر الذي كتبناه أيضاً ، والأظهر من مقتضى الشعر أن ضراراً هو الذي أجاب كعب بن مالك ونقض عليه . وهذا شعر ضرار رضي الله تعالى عنه :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر ... عليهم غداً والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار أن كان معشر ... أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجال بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيح وسطهم ... بني الأوس حتى يشفى النفس ثائر[٣]
ووسط بني النجار عوف نكرها ... لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلا الأماني ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة ... لهنّ بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لاتزل سيوفنا ... بهن دم ممن يحاربن مائر[٤]
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما ... بأحمد أمسى جدكم وهو ظافر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون في اللأواء والموت حاضر[٥]

(١) الماذي : الدروع البيض اللينة .
(٢) تلظى : توقد . وزبر الحديد بفتح الباء وإنما سكنت لوزن الشعر : قطعه . والساجر : الموقد .
(٣) تردى : تسرع . والجرد . الخيل القصار الشعر . والعناجيح : جياد الخيل . والثائر : الطالب لثأره . وفي ابن هشام : وسطهم . بدلاً من : وسطكم .
(٤) المائر : الجاري .
(٥) اللأواء : البأس والشدة .

يعد أبو بكر وحمزة فيهم ... ويدعى على وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت في ديارها ... بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤى بن غالب ... إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل في كل معرك ... غداة الهياج الأطيبون الأكابر

ومن شعر حسان بن ثابت يعرّض بالحارث بن هشام وفراره عن يوم بدر :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام[1]
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام[2]
الله أعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فرسى بأشقر مزبد
وعرفت أني إن أقاتل واحداً ... أقتل ولا يضرر[3] عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم ... طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، ويقال : إنها لعبد الله بن الحارث السهمى ، ويشبه أنها من قصيدة :

مستشعرى حلق الماذى يقدمهم ... جلد النحيزة ماض غير رعديد[4]
أعنى رسول الإله[5] الحق فضله ... على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ... وماء بدر زعمتم غير مورود
ثم وردنا ولم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد[6]
مستعصمين بحبل غير منجذم ... مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ... حتى الممات ونصر غير محدود

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة ... إبادتنا الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا ... فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر
فكم قد قتلنا من كريم مزرّإ ... له حسب في قومه نابه الذكر
تركناهم للعاويات تنوشهم[7] ... ويصلون ناراً بعد حامية الجمر

---

(١) من قصيدة أوردها ابن هشام في السيرة [٣/١٦] .
(٢) الطمرة : الفرس الجواد .
(٣) في سيرة ابن كثير [٢/٥٣١] : ولا ينكى .
(٤) الماذي : الدروع الليّنة . والمستشعر اللابس على جسمه بغير حاجز . والنحيزة : الطبيعة . والرعديد : الجبان .
(٥) كذا بالأصل . وفي ابن هشام : رسول إله الخلق .
(٦) التصريد : الشرب القليل دون الري .
(٧) ابن هشام : ينبنهم . وفي رواية له : ينشنهم .

.....

= لعمرك ما حامت فوارس مالك وأشياعهم يوم التقينا على بدر

وقال عبيدة بن الحارث بن المطلب في يوم بدر ، يذكر مبارزته هو وحمزة وعليّ عدوهم ، وما كان من إصابة رجله يومئذ . قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة يهب لها من كان عن ذاك نائما
بعتبة إذ ولى وشيبة بعده وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم أرجّي بها عيشاً من اللّه دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشاً تعرفت صفوه وعالجته حتّى فقدت الأدانيا
وأكرمني الرحمن من فضل منّه بثوب من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروهاً إليّ قتالهم غداة دعا الأكفاء من كان داعيا [1]
لقيناهم كالأسد تعتر [2] بالقنا نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثتنا حتّى أزيروا المنائيا

قال ابن هشام : لما أصيبت رجل عبيدة قال : أما واللّه لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أني أحق منه بما قال حين يقول :

كذبتم وبيت اللّه نبزى محمداً [3] ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتّى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ولما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجله قالت هند ابنة أثاثة بن عباد بن المطلب ، وكانت وفاته بالصفراء وبها دفن يرحمه اللّه :

لقد ضمّن الصفراء مجداً وسؤدداً وحلما أصيلا وافر اللُّب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة وأرملة تهوى لأشعث كالجذل [4]
وابكيه للأقوام في كل شتوة إذا احمرّ آفاق السماء من المحل [5]
وابكيه للأيتام والريح زفزف [6] وتشبيب قذر طال ما أزبدت تغلى =

(١) بعده في ابن هشام زيادة :
ولم يبغ إذ سالوا الثبي سواءنا ثلاثتنا حتّى حضرنا المناديا

(٢) كذا بالأصل . وفي اللسان : عتر الرمح وغيره اشتد واضطرب واهتز ، قال : وفي ابن هشام : تخطر بالقنا وكل خطى إذا هزه عتر

(٣) في اللسان : يبزي محمد . ومعناه : يقهر ويذل .

(٤) تهوى : تسقط من البكاء والأشعث : الوتد . والجذل : ما عظم من أصول الشجر ، تريد : أنه ثابت قوى .

(٥) المحل : الجدب .

(٦) زفزف : شديدة .

= فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى ومستنبح أضحي لديه على رسل

وقال طالب بن أبي طالب يمدح النّبيّ ﷺ ، ويبكي أصحاب القليب من قريش :

ألا إن عيني أنفدت ماءها سكبا تبكي على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمات غدوة فياليت شعري هل أرى لهما قرباً
هما أخواي لن يعدا لغية تعد ولن يستام جارهما غصبا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا فدا لكما لا تبعثوا بيننا حرباً
ولا تصبحوا من بعد ود وألفة أحاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذ ملؤوا الشعبا[1]
فلولا دفاع اللّه لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا[2]
فما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطئ التربا
أخا ثقة في النائبات مرزأ كريماً ثناه لا بخيلاً ولا ذرباً[3]
يطيف به العافون يغشون بابه يؤمون نهراً لانزوراً ولا صربا
فو اللّه لا تنفك نفسي حزينةً تململ حتّى تصدقوا الخزرج الضربا

الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٦٧-٧٧] .

(١) أبو يكسوم : أبرهة الحبشي . الّذي قصد مكة لهدم الكعبة فأهلكه اللّه وجنوده .
(٢) السرب بالفتح : الطريق . وبكسر الباء : النفس .
(٣) الثناء : الذكر والخير . والذرب : السليط اللسان .

موت أبي لهب

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس ، وأم الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرق في قومه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزة ، وكنت أعمل الأقداح في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتّى جلس إلى طنب[1] الحجرة ظهره إلى ظهرى .

فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قَدِمَ .

فقال أبو لهب : هلم إليه فعنده لعمرى الخبر ، فجلس إليه الناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخي أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال : والله ما هو إلا لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا[2] كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله ما تليق[3] شيئاً ، ولا يقوم لها شئ .

قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك والله الملائكة! فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، وثاورته فاحتملنى وضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ فضربني وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت[4] فى رأسه شجة منكرة . وقالت : أتستضعفه أن غاب عنه سيده ! فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما غاب إلا سبع ليال حتّى رماه الله بالعدسة فقتله .

وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تُعدى أشد العدوى .

(١) الطنب : حبل طويل يشد به بسرادق البيت أو الوتد ، ولعله يريد : الطرف .
(٢) ابن هشام : يقودوننا كيف شاءوا . وما هنا أصح وأوضح .
(٣) ما تليق : ما تبقى .
(٤) فلقت : شقت .

= فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تُقرب جنازته ، ولا يحاول دفنه ، فلما خافوا السُّبَّة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد ، حتَّى واروه .

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بُكَير عنه : إنهم لم يحفروا ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط ، حتَّى واروه .

ويُروى أن عائشة رضي اللَّه عنها كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطَّت وجهها .

وخرَّج البخاري في صحيحه أن أبا لهب رآه بعض أهله في المنام بِشَرِّ خيبةٍ ، أي حالة ، فقال : مالقيت بعدكم راحةً ، غير أني سقيت في مثل هذه - وأشار إلى النقرة بين السبابة والإبهام - بعتقي ثويبة [1] .

وثويبة هذه أرضعت رسول اللَّه ﷺ وأرضعت عمه حمزة وأبا سلمة بن عبد الأسد .

وروى غير البخاري أن الَّذي رأى أبا لهب من أهله هو أخوه العباس قال : فمكثت حولاً بعد موت أبي لهب لا أراه في نوم ، ثم رأيته في شر حال ، فقال : ما لقيت بعدكم راحة ، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين .

وذلك أن رسول اللَّه ﷺ ولد يوم الإثنين ، فبشرت أبا لهب بمولده ثويبة مولاته فقالت له : أشعرت أن آمنة ولدت غلاماً لأخيك عبد اللَّه؟ فقال لها : اذهبي فأنت حرة ، فنفعه ذلك وهو في النار ، كما نفع أخاه أبا طالب ذبه عن رسول اللَّه ﷺ واجتهاده في منعه ونصرته ، فهو أهون أهل النار عذاباً .

ويفعل اللَّه ما يشاء مما يطابق سابق تقديره ، وقد قضى اللَّه سبحانه بإحباط عمل الكافرين ، فمحال أن يقيم لهم يوم القيامة وزناً ، أو ينالوا عنده بشيء قدموه مما يتصور بصورة الأعمال الصالحة نعيماً ، إلا أنه ربما جعل التفاوت بين جماهيرهم وبين من شاء منهم بمقدار العذاب ، فيضاعفه على قوم أضعافاً ، ويضع من شدة أيده عن آخرين تخفيفاً .

وكل عذاب اللَّه شديد ، فنعوذ برضا مولانا الكريم من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته .

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٤٧-٥٠] .

(١) أخرجه البخاري [٥١٠١] من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي اللَّه تعالى عنها .

سيد الشهداء . . حمزة

الشهيد هو من قتل في سبيل الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] فإذا كان هذا الذي قتل شهيداً حياً ، فإن الاعتداء عليه بعد استشهاده هو اعتداء على حي ، فكل الذين استشهدوا يوم أُحد ومُثل بهم هم الذروة من الشهداء ، ويأتي في طليعتهم رضي الله تعالى عنهم أسد الله تعالى ، وأسد رسوله ﷺ : الحمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ، فحينما قتله وحشي ، ونقل الخبر لهند زوجة أبي سفيان جاءته وبقرت بطنه وأكلت من كبده وجدعت أنفه وأذنيه ، فكانت كل مضغة ، وكل جدعة هي بمثابة قتلة جديدة له ، لذا قال الشاعر :

أحمـزة عم المصطفى أنت سيد ... عـلـى شـــهـداء الأرض طـــرا
وحسبك من تلك الشهادة عصمة ... من الموت في وصل الحياتين بالأخرى

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتّى قتل أحد النفر[١] الّذين كانوا يحملون اللواء من بني عبد الدار ، وكان جبير بن مطعم قد وعد غلامه وحشياً بالعتق إذا قتل حمزة بعمه طعيمة ابن عدى المقتول يوم بدر ، قال وحشي : فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطئ بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتّى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق[٢] يهد الناس بسيفه هداً ما يقوم له شئ ، فوالله إني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع ابن عبد العزي الغبشاني ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إليّ يا ابن مقطعة البظور . وكانت أمه ختانة بمكة ، قال : فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه ، قال : وهززت حربتي حتّى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنيته حتّى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغلب وتركته وإياها حتّى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ورجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، ولم تكن لي بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعتق .

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [١٢/ ٩٣، ٩٤] .

---

(١) وهو أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم .

(٢) الأورق من الإبل : ماغ لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل سيراً وعملاً .

حزن الرسول ﷺ على حمزة

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه ، فقال رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . فأنزل الله تعالى ، فيما قاله من ذلك رسوله صلوات الله عليه وسلامه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل] فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهي عن المثلة .

ويقال : إن رسول الله ﷺ لما وقف على حمزة قال : لن أصاب بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا . ثم قال : جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

ثم أمر به رسول الله ﷺ فسجي ببرده ، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى ، يوضعون إلى حمزة وصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة [١] .

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخوها لأبيها وأمها فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي . قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخي ، وذلك في الله ، =

(١) عن عبد الله بن الزُبَير :

« أن رسول الله ﷺ أمر يوم أُحد بحمزة فَسُجِّي بُبُرْدَةٍ ، ثم صلّي عليه فَكَبَّر تسعَ تكبيراتٍ ، ثم أُتي بالقتلى يُصَفُّون ، ويُصَلِّي عليهمُ وعليه مَعَهُم » .

أخرجه الطحاوى في « معاني الآثار [١/ ٢٩٠] وإسناده حسنٌ ، رجالهُ كلُّهم ثقاةٌ معروفون ، وابنُ إسحاقَ قد صرح بالتحديث .

وله شواهدُ كثيرةٌ بعضها في « التعليقات الجياد » في المسألة [٧٥] . =

= فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله ﷺ قال له : خل سبيلها . فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له .

ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن .

وزعم آل عبد الله بن جحش أن رسول الله ﷺ دفن عبد الله بن جحش مع حمزة في قبره ، وهو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة ، إلا أنه لم يبقر عن كبده وجدع أنفه وأذنيه ، فلذلك يقال له : المجدع في الله .

= **وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه :**

« أن النبيَّ ﷺ مَرَّ بحمزة وقد مُثِّلَ به ولم يُصَلِّ على أحدٍ من الشُّهداء غيره يعني شُهَدَاء أُحد »[1] .

أخرجه أبو داود بسند حَسَن ، وهو مختصرٌ حديثِه المتقدِّم في المسألة [٣٧] ، [ص : ٥٩-٦٠] .

وعن عُقْبة بن عامر الجُهَني :

« أن النبيَّ ﷺ خَرَجَ يوماً فصلَّى على أَهْلِ أُحُد صلاتَه على المَيِّت بعد ثمان سنين فقال : إنِّي فَرَطٌ لكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإنَّ موعدَكم الحوضُ ، وإني واللهِ لأنظُر إلى حَوْضي الآنَ ، وإنَّ عَرْضَه كما بين أَيْلَةَ إلى الجُحْفة ، وإني أُعْطِيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرض ، أو مفاتيحَ الأرضِ وإني واللهِ ما أخافُ عليكم أن تُشْرِكوا بعدي ، ولكن أخافُ عليكم الدُّنيا أنْ تَتَنَافَسُوا فيها وتَقْتَتِلُوا فَتُهلِكُوا كما هَلَك من كان قَبْلَكم . قال : فكانت آخرة نظرةٍ نَظَرْتُها إلى رسول الله ﷺ » .

أخرجه البخاري [٣/ ١٦٤-٧/ ٢٧٩-٢٨٠، ٣٠٢] ومسلم [٧/ ٦٧] ، وأحمد [٤/ ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤] ، والسياق للبخاري ، والزيادة الأولى والثانية والسادسة والسابعة له ، ولمسلم الثانية والخامسة وما وراءها ، ولأحمد الأولى إلى الرابعة . رواه البيهقي [٤/ ١٤] ، وعنده الزياداتُ كلُّها إلا الثالثة والخامسة . وأخرجه الطحاوي [١/ ٢٩٠] وكذا النسائي [١/ ٢٧٧] ، والدار قطني [ص : ١٩٧] مختصراً ، وعند الدار قطني الزيادةُ الأولى .

قد يقولُ قائلٌ : لقد ثبت في هذه الأحاديث مشروعيةُ الصلاةِ على الشهداءِ .

قلت : لما سَبَقَ ذِكْرُه في المسألة [٥٨] ، ونزيدُ على ذلك هنا فنقولُ :

لقد استشهدَ كثيرٌ من الصحابةِ في غزوة بدر وغيرها ، ولم يُنْقل أنَّ النبيَّ ﷺ ، صلَّى عليهم ولو فَعَل لنقلوه عنه . فدلَّ ذلك أنَّ الصلاةَ عليهم غيرُ واجبة ، ولذلك قال ابنُ القَيِّم في « تهذيب السنن » [٤/ ٢٩٥] : =

(١) لعلَّه يعني الصلاةَ على غيرِه استقلالاً ، فلا ينبغي الصلاةُ على غيرِه مقرونًا معه كما في الحديث الذي قبلَه ، ولا يُعارِضُ هذان الحديثان بحديث جابر المتقدِّم أنه ﷺ لم يُصَلِّ على شهداء أحد ، لأنه نافٍ ، والمُثْبِتُ مقدَّمٌ على النافي ، وانظر التفصيلَ في « نيل الأوطار » . =

= وكان في أول النهار قد لقى سعد بن أبي وقاص فقال له عبد الله : هلم يا سعد فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته في دعائه وليؤمن الآخر فقال سعد : يا رب إذا لقيت العدو فلقنى رجلاً شديداً بأسه شديد حرده أقاتله فيك ويقاتلنى ثم ارزقنى الظفر عليه حتّى أقتله وأسلبه سلبه . فأمن عبد الله بن جحش ثم قال : اللهم ارزقنى رجلاً شديداً بأسه شديد حرده أقاتله فيك ويقاتلنى ثم يجدع أنفى وأذنى ، فإذا لقيتك غداً قلت لي : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذناك ؟ فأقول : فيك يا رب وفي رسولك . فتقول لي : صدقت . فأمن سعد على دعوته .

قال سعد : كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتى ، لقد رأيته آخر النهار وإن أذنيه وأنفه معلقتان في خيط ، ولقيت أنا فلاناً من المشركين فقتلته وأخذت سلبه .

وذكر الزبير أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً فعاد في يده سيفاً قائماً منه ، فقاتل به فكان ذلك السيف يسمى العرجون ، ولم يزل هذا يتوارث حتّى بيع من بغا التركي بمائتي دينار .

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ١٠٨، ١٠٩، ١١٠] .

وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة ، وتروى أيضاً لكعب بن مالك رضي الله عنهم أجمعين :

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسول
عليك سلام ربك في جنان ... مخالطهم نعيم لا يزول[1]

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة رضي الله عنهما :

أسائلة أصحاب أحمد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير : إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير
دعاه الإله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا ... بكاءا وحزناً محضرى ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرها[2] ... يذود عن الإسلام كل كفور =

= « والصوابُ في المسألة أنه مُخَيَّرٌ بين الصلاة عليهم وتَرْكِها لمجيء الآثار بكُلِّ واحدٍ من الأمرين ، وهذه إحدى الروايات عن الإمام أحمد ، وهي الأليقُ بأصوله ومذهبه »

قلت : ولا شكّ أن الصلاة عليهم أفضلُ من الترك إذا تيَسّرتْ لأنها دعاءٌ وعبادةٌ .

أحكام الجنائز [ص : ١٠٦-١٠٨] .

(١) راجع تمام القصيدة في السيرة لابن هشام [٣/ ١٤٠] .

(٢) المدره : المدافع المحامى .

فياليت شاوي[١] عند ذاك وأعظمي لدى أضبع تعتادني ونسور
أقول وقد أعيى[٢] النعي عشيرتي جزى اللّه خيراً من أخ ونصير

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ١٣١] .

ذكر من استشهد من المسلمين يوم أُحد :

حمزة عم رسول اللّه ﷺ ، قتله وحشي ، غلام بني نوفل بن عبد مناف وأعتق لذلك و رماه بحربة فوقعت في ثنيته . ثم إن وحشياً أسلم ، وقتل بتلك الحربة نفسها مسيلمة الكذاب يوم اليمامة .

وعبد اللّه بن جحش حليف بني أُمية ، وقيل : إنه دفن مع حمزة في قبر واحد ، لأن النَّبيّ ﷺ أمرهم أن يحفروا ويعمقوا ، ويدفنوا الرجلين والثلاثة في قبر واحد ، ويقدموا أكثرهم قرآناً .

وذكر سعد بن أبي وقاص قال : فعدت أنا وعبد اللّه بن جحش صبيحة يوم أُحد نتمني ، فقلت : اللّهُمَّ لقني من المشركين رجلاً عظيماً كفره ، شديداً حرده[٣] فيقاتلني فأقتله ، قيل : فأخذ سلبه . فقال عبد اللّه بن جحش : اللّهُمَّ لقني من المشركين رجلاً عظيماً كفره ، شديداً حرده ، فأقاتله فيقتلني ، قيل : ويسلبني ثم يجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك فقلت : يا عبد اللّه بن جحش ، فيم جدعت ؟ قلت : فيك يا ربي . قال سعد : فواللّه لقد رأيته آخر ذلك النهار وقد قتل ، وإن أنفه وأذنه لفي خيط واحد بيد رجل من المشركين ؛ وكان سعد يقول : كان عبد اللّه بن جحش خيراً مني .

ومصعب بن عمير ، قتله ابن قميئة الليثي . وعثمان بن عثمان ، وهو شماس بن عثمان المخزومي .

ومن الأنصار ، ثم من الأوس ، ثم من بني عبد الأشهل :

عمرو بن معاذ بن النعمان ، أخو سعد بن معاذ ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن ، وسلمة وعمرو ابنا ثابت بن وقش ، وأبوهما : ثابت بن وقش ، وصيفي ابن قيظي ، وحباب بن قيظي ، وعباد بن سهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ابن أخي سعد بن معاذ ، واليمان ؛ وهو الحسيل بن جابر ، والد حذيفة حليف لهم .

ومن أهل راتج من بني عبد الأشهل أيضاً :

إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن الأعلم بن زعورا بن جشم ، وعبيد بن الذيهان . وحبيب بن زيد بن تيم . =

(١) شاوي : جسدي .
(٢) ابن هشام : أعلى .
(٣) الحرد الشديد : الغضب والغيظ والحقد على الإسلام .

= **ومن بني ظفر :**

يزيد أو زيد بن حاطب بن أُمية بن رافع .

ومن بني عمرو بن عوف ، ثم من بني ضبيعة بن زيد :

أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وحنظلة الغسيل بن أبي عامر بن صيفى ابن النعمان بن مالك .

ومن بني عبيدة بن زيد :

أنيس بن قتادة .

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف :

أبو حبة بن عمرو بن ثابت ، أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبد الله بن جبير بن النعمان ، أمير الرماة .

ومن بني السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس :

خيثمة والد سعد بن خيثمة .

ومن حلفائهم من بني العجلان :

عبد الله بن سلمة .

ومن بني معاوية بن مالك :

سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة .

ومن بني خطمة :

عمير بن عدى ، ولم يكن في بني خطمة يومئذ مسلم غيره .

ومن بني النجار ، ثم من بني سواد :

عمرو بن قيس ، وابنه : قيس بن عمرو بن قيس بن زيد بن سواد ، وثابت بن عمرو ابن زيد ، وعامر بن مخلد .

ومن بني مبذول بن مالك بن النجار :

أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول ، وعمر بن مطرف .

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار :

أوس بن ثابت بن المنذر ، أخو حسان بن ثابت .

ومن بني عدى بن النجار :

أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .

وقيس بن مخلد ، من بني مازن بن النجار . وكيسان ، عبد لهم .

ومن بني الحارث بن الخزرج :

خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير - دفنا في قبر واحد .

وأورس بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ، وهو أخو زيد ابن أرقم . =

= **ومن بني الأبجر ، وهم بنو خدرة :**

مالك بن سنان ، والد أبي سعيد الخدري ، وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد ابن الأبجر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج :

ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ابن ساعدة . وثقف بن فروة بن البدن .

ومن بني طريف رهط سعد بن عبادة :

عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف ، وضمرة ، حليف لهم من جهينة .

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العجلان بن يزيد ابن غنم بن سالم :

نوفل بن عبد الله ، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان ، والنعمان بن مالك ابن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم ، والمجذر بن ذياد البلوى ، حليف لهم ، وعبادة ابن الحساس - دفن هؤلاء الثلاثة : النعمان والمجذر وعبادة - في قبر واحد .

ومن بني سلمة :

عبد الله بن عمرو بن حرام ، والد جابر بن عبد الله ، اصطبح الخمر في صبيحة ذلك اليوم ، ثم قتل من آخره شهيداً ، وذلك قبل أن تحرم الخمر ، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام - دفنا في قبر واحد ، وكانا صديقين جداً ، وابنه خلاد بن عمرو بن الجموح ، وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح .

ومن بني سواد بن غنم :

سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه : عنترة ، وسهيل بن قيس بن أبي كعب .

ومن بني زريق بن عامر :

ذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلي بن لوذان - فجميعهم خمسة وستون رجلاً . وقد ذكر أيضاً في شُهداء أُحد من الأوس : مالك بن نميلة ، حليف بني معاوية بن مالك .

ومن بني خطمة ، واسم خطمة : عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس :

الحارث بن عدى بن خرشة بن أُمية بن عامر بن خطمة .

ومن الخزرج ، ثم من بني سواد بن مالك :

مالك بن إياس .

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار :

إياس بن عدى . =

= **ومن بني سالم بن عوف :**

عمرو بن إياس .

فتموا سبعين ، رضوان الله عليهم ؛ ولم يصل رسول الله ﷺ على قتلى أُحد حين دفنهم .

ذكر من قتل من كفار قريش يومئذ

اثنان وعشرون رجلاً

فيهم من بني عبد الدار :

طلحة ، وأبو سعيد ، وعثمان ، بنو أبي طلحة - واسم أبي طلحة : عبد الله بن عبد العزي ابن عثمان بن عبد الدار .

ومسافع ، وجلاس ، والحارث ، وكلاب ، بنو طلحة بن أبي طلحة المذكور .

وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

وابن عمه : أبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

وابن عمهما : القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

وصؤاب مولى أبي طلحة .

ومن بني أسد بن عبد العزي :

عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد ، قتله علي .

ومن بني زهرة بن كلاب :

أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف لهم ، قتله علي .

وسباع بن عبد العزي الخزاعي ، حليف لهم

ومن بني مخزوم :

هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، أخو أم سلمة أم المؤمنين ، والوليد بن العاص بن هشام ابن المغيرة ، وأبو أمية بن أبي حيفة بن المغيرة ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم .

ومن بني جمح :

أبو عزة الشاعر ، وكان رسول الله ﷺ أسره يوم بدر ، ثم من عليه وأطلقه بغير فداء ، وأخذ عليه ألا يعين عليه ، فنقض العهد ، فأسر يوم أُحد ، فأمر رسول الله ﷺ فضرب عنقه صبراً ، وقال له : والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمداً مرتين .

وأبي بن خلف - رجلان .

ومن بني عامر بن لؤي :

عبيدة بن جابر ، وشيبة بن مالك بن المضرب - رجلان .

جوامع السيرة : [ص : ١٣٢-١٣٩] .

إسلام أبي العاص

وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ حين فرق بينهما الإسلام ، حتّى إذا كان قبل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وأعجزهم هارباً ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتّى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صُفَّة النساء : أيها الناس : إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : أما والّذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتّى سمعت ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أدناهم .

ثم انصرف ، فدخل على ابنته فقال : أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له . وبعث إلى السرية الّذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الّذي له فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فيء الله الّذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به .

قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتّى إن الرجل ليأتي بالدلو ويأتي بالشنة والإداوة ، حتّى إن الرجل ليأتي بالشظاظ [1] حتّى ردوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئاً .

ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟

قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً .

قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها ، أسلمت . ثم خرج حتّى قدم على رسول الله ﷺ .

(١) الشنة : القربة الخلق . والشظاظ : خشبة عقفاء تجعل في عروتي الجوالقين .

= وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة ، أن العاص لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها للمشركين ؟ فقال : بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي !

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٥٧] .

إسلام عمير بن وهب

كان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة ويلقون منه عنتاً ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فجلس عمير مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر ببسير ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال له صفوان : فوالله إنّ في العيش خير بعدهم . فقال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دَيْن على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتّى أقتله ، فإن لي فيهم علة [١] ، ابني أسير في أيديهم .

فاغتنمها صفوان فقال : على دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شئ ويعجز عنهم .

قال عمير : فاكتم عنى [٢] شأني وشأنك .

قال : أفعل .

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ، ثم انطلق حتّى قدم المدينة . فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهذا الذي حرش بيننا وحزرنا [٣] للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحاً سيفه .

قال : فأدخله علىّ .

فأقبل عمر حتّى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها [٤] وقال لرجال من الأنصار كانوا معه : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث فإنه غير مأمون .

=

(١) الطبري : قبلهم علة .

(٢) الطبري : على .

(٣) حزرنا : قدر عددنا .

(٤) لببه : جمع ثيابه عند نحره في الخصومة .

= ثم دخل ، فلما رآه رسول الله ﷺ كذلك قال : أرسله يا عمر ، أدن يا عمير .
فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم .
فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » .
قال : أما والله إن كنت بها يا محمد لحديث عهد . قال : فما جاء بك يا عمير ؟
قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟
فقال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً ؟!
قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟
قال : ما جئت إلا لذلك .
قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتّى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك .
قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق .
فقال رسول الله ﷺ : « فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ففعلوا .
ثم قال : يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذى أصحابك في دينهم .
فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة . وكان صفوان حين خرج يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر . وكان يسأل عنه الركبان ، حتّى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً ، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .
وعمير هذا أو الحارث بن هشام - يشك ابن إسحاق - هو الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال : أين أي سراق ؟ فمثل [1] عدو الله فذهب . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٨] فذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقة بن مالك ابن جعشم =

(١) ابن هشام : ومثل . والمقصود لطخ بالأرض واختفى .

= لهم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من الحرب ، يقول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ ﴾ ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ وصدق عدو الله الكذوب ، رأى ما لم يروا وقال : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ فذكروا أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فأوردهم ثم أسلمهم .

الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء [٢/ ٦٠] .